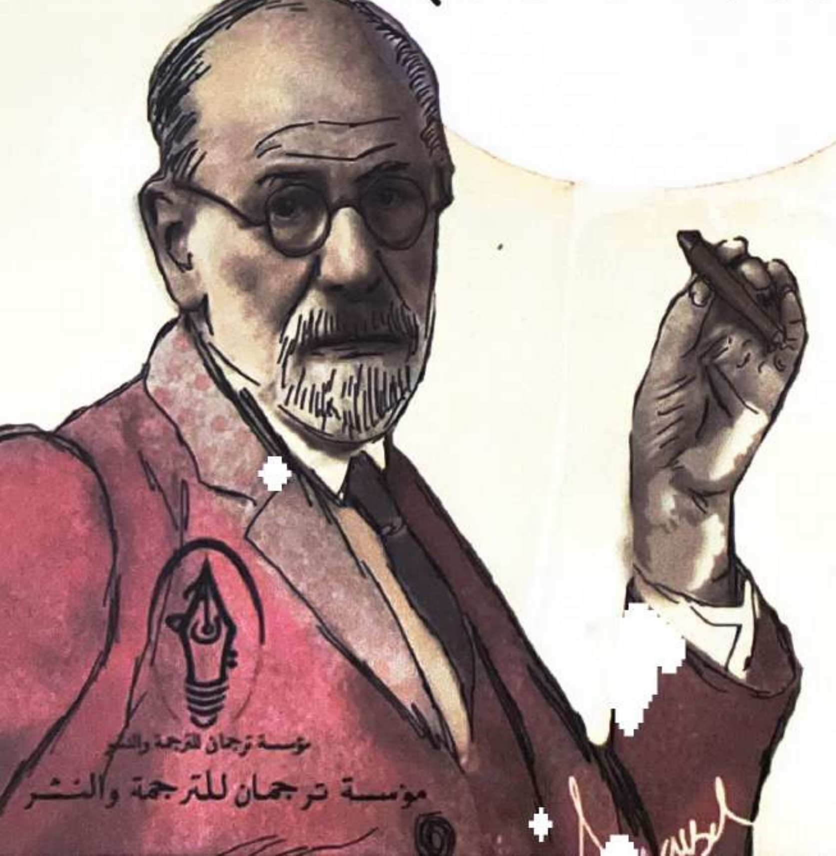


ستيفان زفايغ
سيغموند فرويد

الرّسَائل
(١٩٠٨ - ١٩٣٩)







منشورات الهجان


MOHAMED KHATAB

ستيفان زفايغ

سيغموند فرويد

الرسائل (1908 – 1939)

ترجمة

ناظم بن إبراهيم







◄ الكتاب: الرسائل

◄ المؤلف: سيغموند فرويد - ستيفان زفايغ

◄ المترجم:ناظم بن إبراهيم

◄ الردمك: ISBN 978-9921-852-03-8

◄ الطبعة الأولى 2020

◄ دار ترجمان - الكويت

◄ مُنشورات الهجان - العراق

◄ البصرة - شارع الفراهيدي (حي الجزائر)

◄ 009647705659724

◄ laith_9al@yahoo.com

ترجمة الكتاب الأصلي

Sigmund Freud Y Stefan Zweig: La Invisible Lucha Por El Alm

FREUD SIGMUND / ZWEIG STEFAN

منشورات الهجان للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة ترجمان للترجمة والنشر





@torj0man
@torjomaan
info@torj0man.co
+965 98966838

دولة الكويت - العاصمة - المنطقة التجارية


MOHAMED KHATAB





كرونولوجيا

- سيغموند فرويد:

1856: ولادةُ سيغيشموند شلُومو فرويْد في فرايبرغ؛ ولن يأخذَ اسمَ سيغموند إلّاَ في الثانية والعشرين من عمره. كان والدهُ يعقوب تاجرَ قماش.

1860: تتضرّرُ عائلة فرويْد من الأزمة الاقتصاديّة الأوروبيّة وتسافر إلى فيينّا.

1874: يشرعُ فرويْد في دراسة الطبّ ويهتمُّ خاصّة بدراسة الجهاز العصبيّ.

1881: يجتازُ فرويْد الامتحانات النهائيّة في الدّراسات الطبيّة، وينجحُ فيها بتميّز.

1885: يستفيدُ فرويد من منحة دراسيّة ويسافر إلى فرنسا ليتابع بحوث طبيب الأعصاب الفرنسيّ جون مارتين شَارْكو حول الهستيريا في المستشفى الجامعي بباريس.

1886: يعودُ فرويد إلى فيينّا ويفتحُ عيادته الخاصّة ثمّ يتزوّجُ من مارثا بيرنايس.

1892: ينشر مقالهُ الأوّل حول العلاج بالتنويم المغناطيسيّ الّذي اعتمدهُ في تجاربه منذ 1887. ويكتشف في الفترة نفسها تقنية التداعي الحرّ وكيفيّات توظيفها في العلاج النفسي.

1895: ينشر مع الطبيب النمساويّ جوزيف بْرُويَرْ(دراسات حول الهستيريا).

1900: صدور (تفسير الأحلام).

1901: صدور(علم نفس الحياة اليوميّة)، و(الحُلمُ وتفسيره).

1905: صدور (ثلاثة مباحث في نظريّة الجنس).

1908: انعقادُ المؤتمر العالميّ للتحليل النفسي في سالزبورغ.

1910: يُشارك فرويد في تأسيس الجمعيّة العالميّة للتحليل النفسي ثمّ يُصدر(خمسة دروس في التحليل النفسي)، إلى جانب دراسته عن ليوناردو دي فينشي.

1913: صدور (الطوطم والمُحرّم) بعد القطيعة مع الطبيب السويسريّ كارل غوستاف يونغ.

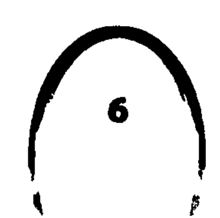
1914-1932: صدور عدد من الكتب ومن أهمّها (مَا بعدَ مبدإ اللذّة)(1920)، و(مستقبل وَهْم) (1927)، و(قلقٌ في الحضارة) (1930).

1933: النّازيّة الألمانيّة تحرق كتب فرويْد في الساحات العامّة.

1936: فرويْد يحتفل بعيد ميلاده الثّمانين، ويستقبلُ التهنئات من العالم كلّه.

1938: صدور (لموجز في التحليل النفسي)، وبعدَ شهريْن من الاحتلال النازيّ للنّمسا يغادرُ فرويْد فيينّا لاجئا إلى لندن.

1939: صدور (الإنسانُ الموسويّ والديانة التوحيديّة). وفي العام نفسه يفارق الحياة في الثالث والعشرين من سبتمبر. يحضر ستيفان







زفايـغ الجنـازة، ويقـوم بتأبينـه.

- ستيفان زفايغ:

1881: ولادةُ ستيفان زفايْـغ فـي فيينَّـا، وكان مُوريتـزْ زفايْـغ والـدهُ يعمـلُ فـي قطـاع النّسـيج.

1900: يشرعُ زفايغ فـي دراسـة الآداب فـي جامعـة فيينّـا، وينشـر فـي الأثنـاء مجموعتـه الشـعريّة الأولـى (أوتـار فضيّـة) (1901).

1904: ينهـي زفايغ أطروحـة الدكتـوراه الّتـي أنجزهـا حـول الفيلسـوف الفرنسـيّ هيبوليـت تـان، وينشـر مجموعتـه القصصيّـة الأولـى (حُـبّ إيريـكا إيوالـد).

1907: ينشـر عملـه الدّرامـيّ الأوّل (ثرسـيثيس)، ويقـدّمُ الترجمـة الألمانيّـة الأولـى لمختـارات مـن أعمـال الشّـاعر الفرنسـيّ آرثـر رامبـو.

1908: تُجسَّـدُ (ثرسـيثيس) فـي مسـارح دريسـد وكاسـل. يقـدّمُ زفايـغ الترجمـة الألمانيّـة لأعمـال بالـزاك، ويبـدأ التّراسـل مـع فرويْـد.

1910: صدور(إيميل فيرهارن: حياتهُ وأعمالُه). (سيرة أدبية).

1913: صدور (السرّ الحارق) (نوفيلا).

1914: يتـمّ اسـتدعاء زفايـغ إلـى الجيـش النّمسـاوي ويتـمّ توظيفـهُ



فـي أرشـيف الحـرب. وفـي العـام نفسـه ينشـر مقالـه المعـروف: (إلـى أصدقائـي فـي الخـارج).

1917: يستقرّ زفايـغ فـي سـالزبورغ مـع فريديريـكا فـون فينسترنيتـز الّتـي التقـى بهـا أوّل مـرّة سـنة 1912.

1919: يقضّي زفايغ فترة في سويسرا ثمّ يعود إلى سالزبورغ.

1920: صـدور (ثلاثـة معلّميـن: بالـزاك، ديكنـز، دوستوفسـكي)، إلـى جانـب بعـض السّـير الأدبيّـة لمارسُـلين ديبـورد فالمـور ورومـان رولان. يتـزوّجُ زفايـغ مـن فريديريـكَا بعـدَ أن طلّقـت زوجهـا الأوّل.

1922: صدور (آموك، سعار الحُبّ) (نوفيلا).

1925: صدور (القتالُ مع الشيطان).

1927: صدور(فوضى الأحاسيس) (نوفيلا).

1931: صدور (شفاءُ الرّوح) (كتاب حول أعمال فرويد).

1933: النّازيّة الألمانيّة تحرق كتب زفايغ في السّاحات العامّة.

1934: يهاجر زفايغ إلى لندن لاجئا بينما تبقى زوجتهُ في النّمسا.

1935 : يقوم زفايغ بجولة في الولايات المتحدّة ويقدّم عددًا من المحاضرات في الجامعات الأمريكيّة.

1936 : يسافر إلى البرازيل والأرجنتين.

1937 : ينفصل عن فريديريكا ويبيع منزلهُ في سالزبورغ.

1938 : يسافر إلى البرتغال مع كاتبته ومرافقته الجديدة لوت آلتمان.

1939 : صدور (الشفقة الخطرة) (رواية) بعد زواجه من لوت.

1940 : يحصل على الجنسيّة البريطانيّة ويقوم بجولات صحفيّة في باريس ونيويورك وأمريكا اللاتينيّة.

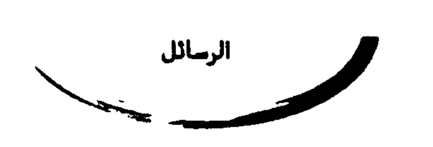
1941 : صدور (البرازيل أرض المستقبل)، والاشتغال على (عالم الأمس) (مذكّرات) وعلى سيرة أدبية لمونتانيْ وقصّة(لاعب الشطرنج). يستقرّ مع زوجته في بيتروبوليس في ريو دي جانيرو.

1942 : يائسا من الوضع الأوروبيّ الّذي دمّرتهُ الحرب، ينتحرُ زفايغ بجرعات متتالية من الفيرونال. تعود لوت إلى المنزل لتجدهُ ميّتًا فتتناول ما تبقّى من زجاجة الفيرونال وتنتحر معه.

تنويه

إنّ الرّسائل المجموعة في هذا الكتاب، في وضع البحث الحاليّ، كاملة، وتتّبع الطبعة الأخيرة لهانس أولريش ليندكن. هذا لا يعني أنّنا نقدّم هنا كلّ الرّسائل الّتي تبادلها ستيفان زفايغ مع سيغموند فرويد، فعدد لا بأس به منها قد ضاع في سنوات التهجير والحرب. سيجد القارئ هنا إذن، ولأوّل مرّة في اللّغة العربيّة، كلّ رسائل فرويد وزفايغ الّتي تمكّن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية من الاحتفاظ بها.






03/ 05/ 1908

19، بيرغاسّ، فيينَّا

صديقي العزيز،

لـم أكُـن فـي فيينّـا أوّلَ الأسـبوعِ الفـارط(١)، وعندمـا عـدتُ إلـى البيـت وجـدتُ عـددًا مـن الأعمـال المتراكمـة الّتـي كانَ علـيّ إنجازُهـا، وأخّرنـي الانشـغالُ بهـا طويـلًا عـن شُـكرك علـى رسـالتك الجميلـة(٢).

لقـد قـرأتُ «أكاليـل الصّبـاح الـجديد»(٣) وعرفـتُ أنّـكَ شـاعر، وقـد وعدنـي انسـيابُ أبياتـك الرّائعـة الّتـي تتحـوّل كلّمـا فتحـتُ الكتـابَ إلـى ترانيـم جميلـة فـي رأسـي، بسـاعة مـن المُتعـة الّتـي سأسـرقها قريبًـا مـن الوقـت المخصّـص للأعمـال الملحّـة الّتـي تنتظرنـي.

أمّـا بالنسـبة إلـى مـا أرسَـلتَهُ إلـيّ فأظـنُّ أنّنـي فهمـتُ المنطـق الّـذي وجّـهَ عملـك، وأعتقـدُ أنّـه كان لديـك مـا يكفـي مـن التعاطـف المأسـاويّ حتّـى تقتـل الرّجُـلَ الّـذي عـادَ مـن طـروادة سـالمًا وغانمًـا كمـا يقـول الشّـعراء القدامـى.(٤)

لتَقبلْ منّي مرّة أخرى شُكري الصّادق والكبير لك.

صديقك المُخلص.

فرويْد

---

(١) شارك فرويد يوم 26 أفريل 1908 في المؤتمر العالميّ الأوّل للتحليل النفسي في سالزبورغ.

(٢) أرسلَ ستيفان زفايغ إلى فرويد نسخة من مسرحيّته الأولى (ترسيتيس) الّتي نُشرت في لايبزيغ سنة 1907 طالبًا منه رأيَهُ فيها.

(٣) المجموعة الشعريّة الثانية لستيفان تسفايغ، وقد أصدرها سنة 1906.

(٤)يقتل زفايغ في عمله المسرحيّ (تريسيتيس) على يد (أخيل) جاعلا منه بطلا تراجيديًّا.

1908 /07 /04

19، بيرغاسّ، فيينّاصديقي العزيز،

أشكركَ كثيرا على كتاب بلزاك (٥) الّذي أسرني إلى درجة أنّني قرأتُهُ دفعة واحدة. لقد شعُرتُ حقًّا أنّني إزاء دوّامة تبتلعني كلّما تقدّمتُ في قراءة الأشياء الّتي أردتَ أن تصفها.

أعتقد أنّ هذا الرّجل يناسبك تماما، ومع أنّني لا أعرفُ من يكون نابوليون الخاصّ بك (٦)، أظنُّ أنّكَ ورثتَ من الرّجُليْن نصيبًا جيّدًا من ميلهما إلى السيطرة، وها أنتَ تمارسُ هذه السيطرة الآن على اللغة إلى درجة أنّني لم أستطع أثناء القراءة كلّها أن أطرد من رأسي صورة فارس مغوار نبيل يمتطي جوادًا أصيلا. وكان من السّهل عليّ وأنا أتصفّحُ أفكاركَ أنْ ألحظ ثراء ثقافتك واتّساع معارفكَ. لقد كانت (ترسيثيس)رائعة، بل ومُسكرةً في بعض المواضع؛ لكن، لماذا دفعت ببعض الشخصيّات إلى الأقصى، ولماذا أخرجتَ الشخصيّة الرئيسيّة في صورة كاريكاتوريّة إلى ذلك الحدّ؟ إنّهُ لمن السهل على شخص عقلانيّ مثلي أن يطرحَ مثل هذه الأسئلة السّمجة.

---

(٥) نُشرَتْ دراسة زفايغ عن بلزاك في البداية مقدّمة لبعض المختارات المترجمة من أعماله، وسيُعاد نشرها وتعديلها سنة 1920 في كتابه (ثلاثة معلّمين: بالزاك، ديكنز، دستوفسكي).

(٦) على الرّغم من أنّ الكاتب الفرنسيّ أونوريه دي بالزاك لم يعرف نابوليون بونابارت مباشرة، إلّا أنّهُ كان من أكثر المعجبين به، وكان نابوليون حاضرا في أدبه إلى درجة أنّهُ كان يقارن حياتهُ بحياة الجنود وبحياة نابوليون نفسه في بعض الأحيان، ويفتخر باشتراكهما في القدرة على العمل ثمانيَ عشرة ساعة في اليوم. وفي دراسته عن بلزاك أشار زفايغ إلى هذا الافتتان البالزاكيّ بنابوليون، وهو ما يمكن أن نفسّر في ضوئه إشارة فرويد إلى نابوليون الخاص بزفايغ، أي بالشخصيّة السياسيّة أو العسكريّة الّتي يمكن أن يكون مفتتنا بها مثلما افتتنَ بالزاك بنابوليون.

سـأكون سـعيدًا جـدّا بـأن تحافـظ علـى عـادة إرسـال أعمالـك إلـيّ، كمـا أريـدُ انتقامًـا منـكَ أن أسـألكَ عـن إمكانيَّـة أن أرسـلَ إليـكَ بعـض أعمالـي الّتـي هـي مـن طبيعـة أخـرى بـكلّ تأكيـد.

صديقك المخلص

فرويْد

07 ديسمبر 1911

9، بيرغاسّ، فيينّا

صديقي العزيز جدًّا،

تقبّل منّي فائق الشّكر على كتاب قصص الأطفال(٧) الّذي أرسلتهُ إليّ والّذي أرى أنّهُ سيكون مفيدًا جدًّا بالنسبة إليّ في مجال التّحليل النفسيّ. لكن للأسف، افتكّهُ منّي صديق من حلقة القرّاء الكثيرين في بيتي ولمّا أكُنْ قد أكملتُ قراءة القصّة الأولى، وسيحرمني هذا الأمرُ كتابكَ لبعض الوقت. مع ذلك، أعتقد أنّكَ لن تنزعجَ من الوصول إلى عددٍ لا بأس به من القرّاء الشّباب عوضًا عن قارئ واحدٍ وشيْخٍ مثلي.

صديقك المخلص

فروِيْد

(٧) يشير فرويد هنا إلى(التجربة الأولى) (Erstes Erlebnis)، وهي مجموعة قصصيّة تضمّنت أربع قصص للأطفال، وصدرت في لايبزيغ سنة 1911.

19 أكتوبر 1920

9، بيرغاسّ، فيينًا

صديقي العزيز،

بعدَ أن وجدتُ أخيرًا هنا شيئا من الوقت والرّاحة، تذكّرتُ أنّني مدين لك بشكر كبير على كتابك الجميل[٨] الّذي وصلني وانتهيتُ منهُ في زحمة الأسبوعيْن الأخيريْن. أريد أن أخبرك أنّني استمتعتُ كثيرا بقراءته ولو لم يكن هذا حقيقيًّا لما أبديتُ رغبةً في الكتابة إليكَ حول الموضوع.

إنّ سرعة بديهتكَ وقدرتك الكبيرة على التحكّم في العبارة يتركان لدى القارئ شعورًا نادرًا بالرّضا، وما لفت انتباهي أكثر في هذا الصدد هو طريقتك العجيبة في رصف الجُمَل، وقدرتك على تكثيفها إلى درجة تقتربُ فيها جملتك من موضوعها الوصفيّ كما لو كانت الكائن الأكثر حميميّة بالنسبة إليه، وهذا الأمر أشبه بما يتراكم في الأحلام من رموز تميطُ اللّثام شيئا فشيئا عن الأشياء المُحتجبةِ في لا وعينا.

---

(٨) يشير فرويد هنا إلى كتاب(ثلاثة معلّمين: بالزاك، ديكنز، دستوفسكي) الصّادر في لايبزيغ سنة 1920. وفي نسخة فرويد المُحتفظ بها في مكتبته في لندن كتبَ زفايغ على صفحتها الأولى هذا الإهداء: (إلى الأستاذ سيغموند فرويد، مُرشدنا العظيم إلى اللاوعي، مع الحُبّ المتجدّد دائما. ستيفان زفايغ، سالزبورغ 1920.)

في الوقت نفسه، إذا سمحت لي بأن أقيّمَ عملكَ بالصّرامة الممكنة كلّها، سأقول إنّكَ أتيتَ على كلّ ما يتعلّق ببالزاك وديكنز وفصّلتَ فيه تفصيلًا، غير أنّ هذا ليس أمرًا صعبًا على الإطلاق، فما يكتبانه بسيط وقابل للقولبة دائمًا، في حين لا يمكن للكتابة عن ذاك الروسيّ الشقيّ أن تمرّ بسلام، ولا يمكنكَ أن تكون راضيًا عنها نهائيًّا. هنا، نشعرُ بنواقص كثيرة، وبألغاز لم تُحلّ في أكثر من موضع أيضًا. ولتسمح لي بتقديم بعض الملاحظات الّتي تحضر في ذهني حول هذا الأمر من زاوية نظر هاوٍ. إنّ المرّض النفسيّ الّذي لازم دستوفسكي يمكن أن يعود إلى وقتٍ أبعَد ممّا فكّرتَ(٩). وأعتقد أنّهُ لم يكن عليكَ التّسليم بسرعة بأمر صرعه المزعوم، فمن الصّعب جدًّا أن يكون قد عانى من هذا المرض، ذلك أنّ الصّرع اعتلالٌ عضويّ في الدّماغ خارج بنية الجهاز النفسيّ، ولكنّه مرتبط عموما بضمور القدرات النفسيّة واختلالها. وبهذا الصدد، لا نعرفُ سوى حالة واحدة أصاب فيها هذا المرض رجلًا مثقّفًا، وهي متعلّقة بواحد من عمالقة الثّقافة الّذين لم نعرف عن حياتهم العاطفيّة الشيء الكثير (هيلمْهولتز(١٠))؛ أمّا بقيّة العظماء الّذين ادّعوا كلّهم أنّهم يعانون من الصّرع، فلم يكونوا مصابين بشيء آخر غير الهستيريا. (أمّا عن ذلك المتوهِّمُ لومبروزو(١١)، فلم يتمكّن إلى الآن من القيام بتشخيص بيانيّ واضح لهذه الفروق). وليس هذا التمييز مجرّد حذلقة طبيّة، بل هو أمر ضروريّ جدًّا في رأيي.

---

(٩) سينشر فرويد نفسه سنة 1928 دراسة حول دستوفسكي بعنوان: (دستوفسكي وقتل الأب).

(١٠)هيرمان فون هيلمهولتز (1821 - 1894): طبيب وفيزيائيّ ألمانيّ، عُرفَ بإسهاماته المهمّة في دراسة إدراك الأصوات والألوان.

(١١) تشيزري لومبروزو (1836 1909-): عالم نفس إطاليّ، ومن أهمّ كتبه: (العبقريّة والجنون) (1864).

إنّ الهستيريا أمر مرتبط بالجهاز النفسيّ في حدّ ذاته وهي تعبيرة عن القوّة الأصليّة العتيقة الّتي يطوّرها الفنّان العبقريّ من خلال نشاطه الإبداعيّ، لكنّها من الأعراض الأساسيّة الدّالّة على صراع قويّ جدًّا وغير محسوم داخل الفنّان أيضًا، ومن الفواعل في إدارة هذا الصراع الّذي ينتهي بتمزيق الحياة النفسيّة إلى نصفيْن. وأعتقد أنّ كلّ ما كتبهُ دستوفسكي تأسّسَ من هذه الزاوية على الهستيريا الّتي كانت لديه.

وعلى الرّغم من الأهميّة الّتي يمكن ان يكتسيها عامل الجاهزية التكوينيّة بالنسبة إلى نوع الهستيريا الّتي لدى دستوفسكي فإنّهُ من المهم مع ذلك أن نلاحظ حتّى في هذه الحال وجود عامل آخر تعطيه نظريّتنا وقَدْ تمّ الاعتراف بها هي الأخرى شيئا من الأهميّة.

مرّة، أطلعني أحدهم في موضع مّا من سيرة دستوفسكي على مقطع يبرز علاقة وثيقة بين المعاناة النفسيّة الّتي شعر بها في كبره وعقوبة سلّطها عليه والدهُ في طفولته في ظروف قاسية أو لأقُل ولا أعرف إذا ما تبادرت هذه الكلمة إلى ذهني من باب المصادفة أم الحكمة في ظروف تراجيديّة . وبتحفّظ كبير لم يُقَل شيء تقريبا عن الطريقة الّتي تعامل بها دستوفسكي مع الأمر، وسيكون من السهل

عليك مقارنة بي أن تعثر على هذا المقطع مجدّدا وأن تتأكّد بنفسك ممّا أقوله، خاصّة وأنّني لستُ في حاجة إلى أن أقنع الرّجل الّذي كتب (التجربة الأولى) بأنّ هذا المشهد الطفوليّ هو الّذي سيحرّك لاحقًا صدمة دستوفسكي الأولى وسيجعلها ملازمة لهُ في شكل نوبات نفسيّة متكرّرة، على النّحو الّذي سيجعل من حياة دستوفسكي كلّها محكومة بسلوك مزدوجٍ إزاء الأب (السلطة) يتراوحُ بين استمتاع المازوشيّ بالاضطهاد والخضوع ورغبة الثائر في التمرّد في سياق تنطوي فيه الماسوشيّة نفسها على الشّعور بالذّنب الّذي هو أساس خلاصه.

إنّ ما سميّتموهُ تجنّبًا لأيّ كلمة مُصطنعة تكوينًا ثنائيّ، نُسمّيه من جهتنا تناقضا وجدانيًّا، وهذا التناقض في المشاعر يندرج في رأينا ضمن ما أورثتنا إيّاه الحياة النفسيّة الّتي عاشها الإنسان البدائيّ، غير أنّهُ ترسّخَ لدى الشّعب الرّوسيّ وصار أقرب إلى التمظهر في وعيه أكثر من أيّ شعب آخر، وقد تمكّنتُ من البرهنة على ذلك منذ وقت غير بعيد من خلال متابعة مفصلّة لحالة مريض روسيّ من الطراز الأوّل. ويمكننا من خلال فهم هذا الاستعداد الأوليّ للتناقض الوجدانيّ وربطه بصدمات الطفولة الأولى أن نفهم العنف غير المعتاد والمتزامن مع المرض الهستيريّ. وحتّى الروسيّون من غير العُصابيّين متناقضون وجدّانيّا إلى أبعد حدّ كما هو حال شخصيّات دستوفسكي كلّها، وفي رواياته جُلّها.

إنّ فرادة أعمال دستوفسكي الّتي لم يفلت منها شيءٌ من بين يديك تقريبًا مرتبطة كلّها بحياته النفسيّة غير العاديّة بالنسبة إلينا والعاديّة بالنسبة إلى روسيّ مثله أو بعبارة أدقّ بحياته الجنسيّة الّتي يمكن أن تظهر بوضوح في تفاصيل كلّ ما هو مؤلم أو مُشتّتٍ للذّهن. وعلى

الرُّغـم مـن اسـتحالة فهـم دستوفسكي دون التحليـل النفسـيّ، لـم يكُـن هـو فـي حاجـة إلـى ذلـك باعتبـار أنّـه كان يعبّـر عـن كل مـا يخالجهُ مـن خـلال كلّ شـخصيّة مـن شـخصيّاته وكلّ جملـة مـن جملـه. وكـي أقـدّم لـك مثـالا، بإمكانـك أن تلاحظ معي أنّ لإخوة كرامازوف عالجت بالضّبط المشكلة الأكثـر ذاتيّـة بالنسـبة إلـى دستوفسكي وهـي مـوت الأب، وانعقـدت أساسًـا علـى المبـدإ التحليليّ النفسـيّ القائـم علـى اتّسـاق الفعـل مـع الرغبـة غيـر الواعيـة.

وإلـى جانـب هـذا، يمكننـا أن نتبيّـنَ مِـن فـرادة تقديـم دستوفسـكي للـحبّ الجسـديّ سـواء حضـر هـذا الحُـبّ باعتبـاره شبقا غريزيًّـا أم حنـوًّا مثاليًّـا واشـتغاله علـى اسـتحالة أن يقـرّرَ الأبطـال مـا إذا كانـوا يحبّـون أم يكرهـون، ومَـن يحبّـون حيـنَ يحبّـون ومـا إلـى ذلـك، المجالَ المخصـوص الّـذي تبلـور فيـه بنـاؤه النفسـيّ.

وليـس لـديّ مـا أخشـاهُ فـي النهايـة مـن الاسـتنتاجات الّتـي قـد تصـلُ إليهـا بعـدَ مـا قُلتهُ لأنّنـي أعـرفُ أنّـكَ لـن تفكّـر لحظـة واحـدة فـي أنّ هـدف تسـليط الضـوء علـى هـذا الجانـب الّـذي نسـمّيه باثولوجيًّا هـو التقليـل مـن عظمـة دستوفسـكي وعبقريّتـه الأدبيّـة.

وعلى الرّغـم مـن أهميّـة الأشـياء الّتـي أحدّثـكَ بهـا، أنهـي هـذه الرسـالة الطويلـة، لا لاسـتنفاد كلّ مـا يمكـن أن أقولـه حـول الموضـوع بـل لعـدم اتّسـاع هـذا المجـال لمثـل هـذه الأمـور؛ مجـدّدًا لـك الشـكر ومُرسـلا إليـكَ تحيّـة ودٍّ وإخـلاص.

فرويد

03 نوفمبر 1920

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

أستاذنا العزيز،

إنّ تأخّري عن شكرك على رسالتك العميقة والقيّمة جدًّا بالنسبة إليّ راجعٌ فقط إلى أنّني لم أعد إلى سالزبورغ سوى البارحة بعدَ جولة من الندوات واللقاءات امتدّت على الأسابيع الثلاثة الفارطة (١٢). وبإمكانك أن تتخيّلَ إلى أيّ مدى أثار فهمكَ للصورة الباتولوجيّة لدستوفسكي انتباهي، خاصّة وأنّهُ (خلافا لما أنجزتُهُ في دراستي) ذو قيمة علميّة تدلّ على معرفة حقيقيّة بالموضوع.

أعرفُ أنّ دستوفسكي بثقافته الموسوعيّة لم يكن أيضًا جاهلا بهذا النّوع شبه الصرعيّ من الاضطرابات النفسيّة، وقد جسّدهُ في شخصيّة سميردياكوف(١٣) وألمحَ إلى وجود أناس قادرين إلى حدّ مّا على استحضار هذا الاضطراب النفسيّ وإعادة إنتاجه

---

(١٢) انطلق زفايغ يوم 19 أكتوبر 1920 في جولة مطوّلة من اللقاءات الأدبية في ألمانيا شملت ميونخ ولايبزيغ ثمّ برلين ثمّ هامبورغ ثمّ كِيل ثمّ فرانكفورت ثمّ فيسبادن.

(١٣) إحدى شخصيّات (الإخوة كرامازوف) لدستوفسكي، وعلى الرّغم من اشتقاق اسمه في اللغة الروسيّة من مفردة смердеть (سمرديت) الّتي تعني النتن والبذيء، فقد اشتغل دستوفسكي على إظهاره في صورة المهوس بالنظافة. كان طبّاخ فيودور والد الإخوة كرامازوف، وكان يعاني من نوع حاد من الصّرع.

إذا أمكـن القـول عـن وعـي وفـي الأوقـات الّتـي يبـدو لهـم فيهـا ذلـك مناسـبا. وأعتقـدُ أنّـهُ لـدى دستوفسـكي أيضـا نـوع مـن الإحسـاس الخفـيّ بالمتعـة المتولّـدة عـن الرّغبـة فـي عيـش أشـكال معيّنـة مـن الاضطرابـات النفسـيّة، وثمّـة فـي هـذه النّقطـة بالّـذات واحـد مـن أكبـر الألغـاز الّتـي يمكـن تثيـر اهتمـام عالـمِ نفـس

لقـد خجلـتُ أيّمـا خجـلٍ وابتهجـتُ أيّمـا ابتهـاج وأنـا أرى كـمّ العنـاء الّـذي تكبّدتـهُ لمناقشـة دراسـتي سـيّدي، وأرجـو منـك أن تتأكّـد مـن تقديـري الكبيـر لهـذا الاهتمـام ومـن امتنانـي الخالـص لـك. إنّنـي أنتمـي إلـى هـذا الجيـل مـن الكتّـاب الّـذي لا يديـن تقريبـا لأحـدٍ بقـدر مـا يديـن لكـم فـي مشـتوى معارفـه، وأرجـو قريبـا أن تصبـح بحوثـك ذات الأهميّـة الكبـرى عـن الجهـاز النفسـيّ خيـرًا كونيًّـا وعلمًـا ذا بعـدٍ أوروبـيّ. إنّ كلّ الرّسـائل الّتـي تصلنـي مـن انجلتـرا وأمريكا تنطـوي علـى أسـئلة عنـك أو عـن أعمالـك، وربّمـا سيكتشـف بلدنـا بـدوره شـيئا فشـيئا قيمـة مـا تكتبـه وأهميّـة الإضافـة الّتـي حقّقتهـا، وآمـلُ أن تتـاح لـي قريبـا فرصـة أن أعبّـر عـن هـذا كلّـه علنًـا وعلـى نحـو مفصّـل.

مع خالص الامتنان والحُبّ

من صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

فيينا، 27 ماي 1922

صديقي العزيز،

وصلنـي كتابـك الجميل(١٤)وسـأقرؤهُ بـكلّ سـرور. أمّـا الأسـطر الّتـي كتبتهـا لـي بخـطّ يـدك(١٥)، فهـي أكثـر ممّـا أستـحقّ.

محبّتي

فرويد

(١٤)يشـيرُ فرويـد هنـا إلـى رواية(آمـوك، سـعار الحُـبّ)، وهـو العمـل الّـذي حقّـق بـه زفايـغ أولـى نجاحاتـه العالميّة. صـدرت ترجمتهـا العربيّـة بالاشـتراك بيـن دار مسـكلياني للنشـر والتوزيـع ودار مسـعى للنشـر والتوزيـع، تونـس - الكويـت، 2018. (ترجمتنـا).

(١٥)للأسـف، لـم يتـمّ العثـور علـى نسـخة فرويـد، ويمكـن أن تكـون قـد أحرقـت مـع جملـة كتبـه الّتـي أحرقتهـا النازيّـة الألمانيـة.



وقتيًّا، 10، غارنيزونغاسّ، فيينًّا

بداية ماي 1924

أستاذنا العزيز،

لقد طلب منّي رومان رولان(١٦) الّذي سيبقى لبضعة أيّام في فيينًا أن أعبّر لك عن رغبته في زيارتكَ وأن أسألكَ عن الوقت الّذي يناسبك لاستقباله. إنّهُ لشرفٌ كبير بالنسبة إليّ، أستاذي العزيز، أن أوصِلَ إليكَ هذا الطلب، وأرجو أن لا يحول أيّ مانع أمام تحقّق رغبته العميقة في التعرّف إليكَ.

سأكون ممتنًّا إذا أرسلتَ إجابتك المنتظرة إلى عنوان إقامته الحالية مباشرة (لينكه فينتزايلْ 4 عندَ ريغر)*، أو إلى عنواني (10، غارينزونغاسّ). أمّا عن الهاتف فلن يكون الاتصال بي شبه ممكنٍ إلّا بين الثامنة والنصف والتاسعة والنصف صباحا، لأنّني سأكون برفقته خارج البيت بقيّة النهار (رقم الهاتف: 16327).

---

(١٦) التقى زفايغ بروماـن رولان أوّل مرّة في باريس شهرَ فيفري 1910 وظلّا بعد ذلك يتراسلان طوال حياتهما. في 13 ماي 1924، استضاف زفايغ بعض أصدقائه على الغداء ليعرّفهم على رولان، وكان من بينهم آرثر شنيتزلر والكاتب فيليكس براون والموسيقي بول ستيفان. وفي اليوم الموالي اصطحبهُ لزيارة فرويد الّذي عبّر لزفايغ عن رغبته في التعرف على رولان في أكثر من مناسبة قبل ذلك.

(١٧) إرفين ريغر (1889 - 1941): كاتب وصحافيّ نمساويّ، وكان أوّل كاتب لسيرة زفايغ.

وفـي انتظـار ردّد أسـتاذي العزيـز، أسـتغلّ هـذه الفرصـة لأعبّـر لـك عـن حبّـي الكبيـر وإعجابـي المتجـدّد دائمـا.

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

* مـن المستحسـن إذا سـمحتَ أن لا يتـمّ إفشـاء أمـر هـذا العنـوان، لأنّ رومـان رولان للأسـف فـي حالـة مـن الهـوان الجسـديّ والصحّـي، ولا يريـد رؤيـة أحـد باسـتثناء مـن يسـتحقّون عنـاء ذلـك.

بيرغاسّ، فيينًا

10 ماي 1924(١٨)

صديقي العزيز،

عندما قرأتُ في إحدى الصّحف أنّ رومان رولان في فيينًا، شعرتُ مباشرة برغبة كبيرة في التعرّف شخصيًّا على رجل لطالما أعجبتُ به من بعيد دونَ أن أعرف كيفيّة الوصول إليه، وها أنا أبتهجُ أيّما ابتهاج بمعرفة رغبته في زيارتي عن طريقكَ، وأسارعُ إلى التواصل معك للنظر في الموعد الّذي يناسبكما حتّى نلتقي.

لديّ استراحةٌ يوميّة من الثانية إلى الرابعة والنّصف بعدَ الزوال، وبإمكاني انتظاركما أثناء هذه الاستراحة بداية من الثلاثاء المقبل على أن تعلماني بقدومكما مُسبقًا، لكنّني سأكون أكثر سعادة إذا تمكّنتما من زيارتي في البيتِ في إحدى الأمسيات بداية من الثامنة والنصف (بعدَ العشاء) حتّى نشربَ كوبًا من الشّاي في حلقة مغلقة لن يكون فيها معنا أحدٌ باستثناء نساء المنزل، وسأكون بداية من الاثنين المقبل مستعدًّا لقدومكما في هذا الوقت من اليوم.

---

(١٨) يقابلُ من أيّام الأسبوع السّبتَ.

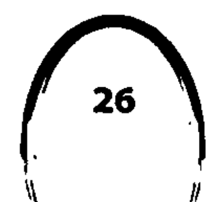
أمّا عن رولان، فآسفُ حقًّا لمعرفة أنّهُ عليه الاهتمام بصحّته هو الآخر، وسيكون عليّ التعويل على وجودكَ أيضًا لأنّ الكلام صار معاناة حقيقيّة بالنسبة إليّ بعدَ عمليّة جراحيّة أجريتها منذ ستّة أشهر[19]، ولأنّ فرنسيّتي، وهذا هو الأهمّ، ليست صالحة للاستعمال في المحادثة مطلقًا. إلى جانب ذلك، أعتزم استغلال هذه المناسبة لمحادثتك حول موضوع شخصيّ[20]

مع المودّة لكَ ولصديقكَ العظيم

فرويد

(١٩) فرويد عمليّة جراحيّة لمعالجة الطلَوان (Leukoplakia) الّذي أصاب فكّهُ وحنكه، وهو عبارة عن تقرّح يتمظهر في شكل بقع بيضاء في الغشاء المُخاطيّ للفم. وقد أثّرت العمليّة في مقدرته على تحريك فكّه السفليّ، وعليه على مقدرته على الكلام.

(٢٠) لم نستطع تحديد هذا الموضوع، ولم نجد في الرسائل اللّاحقة ما يحيل عليه.



غارنيزونغاسّ،

الاثنين 12 ماي 1924

أستاذنا العزيز،

شكرا جزيلا جدًّا على هذا الخبر السّار !

سيكون رولان في الأمسيات القادمة في مهرجان الموسيقى، ولاعتبارات صحيّة عليه أن يعود مباشرة إلى البيت بعدَ العُروض. لذلك، سيكون مناسبا بالنسبة إليه زيارتكَ يوم الأربعاء بعدَ الثانية بعد الزوال بقليل. وإذْ أنقلُ إليكَ ابتهاجهُ الكبير بهذا اللقاء، لا يمكنني، أستاذي العزيز، أن أخفي عنكَ ابتهاجي الخاصّ بالقدوم معهُ ورؤيتك مجدّدًا.

مع فائق التقدير والوفاء

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(٢١) نُظّمَ هذا المهرجان في فيينّا وقتها احتفالا بعيد ميلاد ريشارد شتراوس الستّين. كتب زفايغ إلى زوجته في اليوم نفسه: لدينا كلّ ليلة مقصورتنا الخاصّة في الأوبرا، وها أنا أسلّمُ نفسي إلى موسيقى ستراوش بلا توقّف.

بيرغاسّ، فيينّا

5 نوفمبر 1924

صديقي العزيز،

إذا كنتَ تشعرُ على أيّ نحو بضرورة ربط كتابك الجديد باسمي(٢٢)، ولستَ خائفا من أن تهبَ هذا المولود، إلى الأبد، أبوّة قد لا تكون مناسبة له، لستُ في حاجة إلى أن أقول لكَ إنّه ليس لديّ أيّ اعتراض، وسأعتبر إهداءكَ هذا شرفًا كبيرا لي لن يزيدني بكلّ تأكيد سوى حرصًا على قراءة العمل بالاهتمام والابتهاج الّذيْن قرأتُ بهما العمل الّذي يسبقه(٢٢).

أشكرك على تمنيّاتكَ الطيّبة وأرجو لكَ قوّة إنتاج أدبيّ ثابتة والكثير من النجاحات.

فرويد

مع تحيّة ودّ

---

(٢٢) أهدى زفايغ كتابهُ (القتالُ مع الشيطان) إلى فرويد، ويضمّ هذ المؤلّف ثلاث دراسات عن هولدرلين وكلايست ونيتشه. وجاء في الإهداء: (إلى الأستاذ سيغموند فرويد، إلى ذلك العقل المتبصّر، إلى ذلك المبدع والمُلهم، هذه التوليفة الثلاثية من الجهود الإبداعيّة).

(٢٣) آموك، سعار الحُبّ (1922).

آنا فرويد(٢٤)

، بيرغاسّ، فيينَّا

14 أفريل 1925

صديقي العزيز،

شكرًا جزيلا جدًّا على هذا الكتاب الجميل ! لقد أنهيتُ في قراءة واحدة الدّراسة الأولى (والأكثر اكتمالا دون شكّ) عن هولدرلين، متوقّفًا من حين إلى آخر لاسترجاع أنفاسي وأفكاري.

عليّ أن أقول لك يومًا إلى أيّ مدى تمكّنتَ من الوصول باللّغة إلى شيء لم يستطع أحدٌ تحقيقه قبلكَ حسب معرفتي. لقد قاربتَ الموضوع عن كثب وعبّرت عنه بدقّة تجعلُ من أدقّ تفاصيله قابلة للإدراك وتدفع القارئ إلى استيعاب علاقات ومميّزات لم يُعبَّرْ عنها حتّى الآن باللّغة.

لقد قضيّتُ وقتًا طويلا وأنا أفكّرُ في العثور على معادل موضوعيّ لطريقتك في العمل؛ وفي النهاية توصّلتُ بالأمس إلى شيء استوحيتهُ من زيارة صديق عالم في الآثار والنقوش القديمة. إنّها عمليّة مشابهة لأخذ نُسخة ورقيّة من نقيشة أثريّة، حيثُ نضعُ، كما هو معلوم، ورقة وطبة على الحجر ثمّ نجعلُ هذه المادّة الطيّعة تلامسُ أصغر التجوّفات المكوّنة للنّقيشة.

---

(٢٤) آنا فرويد (1895 – 1982): أصغر بنات فرويد.

لا أعرفُ إن كانت هذه المقارنة سترضيك، غير أنّ افتتاني كبير إلى درجة أنّني لم أستطع الوصول حقًّا إلى تمثيل دقيق لما تصفه في كتابك، وكان عليّ تعويض هذا النقص باعتماد أكثر المقارنات تنوّعًا والرجوع إلى مختلف مجالات الخبرة البشريّة.

وأمّا عن موضوع كتابك الرّئيسي، القتالُ مع الشيطان، فسيبقى لدينا ما نقوله حوله دائما، بل ومَا يمكن أن يقودنا إلى ما هو أبعد من الكتابة عنه. لذلك، فإنّ قتالنا مع الشيطان عن طريق الكتابة يتمثّل في الآتي: أن نصفهُ باعتباره موضوعًا علميًّا قابلا للاستيعاب.

مع تحيّة ودّ

فرويد

---

(٢٥) يعود فرويد هنا إلى كتاب (القتالُ مع الشيطان: هولدرلين، كلايست، نيتشه).

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

15 أفريل 1925

أستاذنا العزيز،

أنا سعيدٌ كثيرًا بالشّرف الّذي منحتَني إيّاه بقراءة كتابي فورَ وصوله على الرّغم من انشغالك الكبير بأشياء أخرى ذات أهميّة مختلفة، وقد كانت ملاحظاتك من أثمن الملاحظات الّتي وصلتني.

لم يكُن وضعي لاسمكَ على أوّل صفحات الكتاب متعلّقًا فقط بالتعبير عن إعجابي بك وامتناني لكَ، ذلك أنّ عديد الفصول مثل في باتولوجيا الشعور، عند كلايست أو ،في مديح المرض عند نيتشه، لم تكن لتكون ممكنة دونكَ. لا أريد أن أقول من خلال هذا إنّ النتائج الّتي وصلتُ إليها مبنيّة على منهج في التحليل النفسيّ، لكنّكَ علّمتنا كيف نمتلكُ شجاعة الاقتراب من الأشياء، وكيف نقارب أكثر مشاعرنا تطرّفًا وحميميّة بلا خوف ولا خجل زائف. إنّ الصّدق يحتاج إلى الشّجاعة، وفي أعمالكَ منه ما لا نجدهُ إلّا لدى قلّة من الكتّاب في عصرنا.

آملُ أن أتمكّن من زيارتك مرّة أخرى في فيينّا، غير أنّني على الرّغم من رغبتي الكبيرة في ذلك، فإنّ خوفي من تضييع وقتكَ أكبر.

مع تحيّاتي إلى الآنسة ابنتك وتقدير صديقكَ المخلص،

ستيفان زفايغ

3 جوان 1925

بيرغاسّ 19، فيينّا

صديقي العزيز،

لقد أرسلتُ مساهمتي في الكتاب الجماعيّ(٢٦) المخصّص لرومان رولان، غير أنّ ما يشغلني هو أنّك لم تُشرْ في طلبك إلى أيّ مساهمات ماليّة يتوجّبُ على المشاركين في العمل دفعها حتّى نتمكّن من تغطية تكاليف النّشر. لذلك، سأكون سعيدًا بأن تخبرني عن المبلغ المطلوب للمشاركة في تغطية مصاريف الكتاب.

مع تحيّة ودّ

فرويد

(٢٦) كتابٌ جماعيّ احتوى على مجموعة من الدّراسات والشهادات حول رومان رولان، وصدر يوم 29 جانفي 1926 بمناسبة عيد ميلاده السّتين.

كابوزينربرغ، سالزبورغ

15 جوان 1925

أستاذنا العزيز،

لقد عدتُ للتوّ من مهرجان هاندل في لايبزيغ(٢٧) وسُعدتُ كثيرًا برسالتك. كم هو رائعٌ أنّكَ أرسلتَ مساهمتك ! وبطبيعة الحال، لا توجدُ حاجةٌ إلى أيّ مساهمة ماليّة، بل بالعكس، ستكون للكتاب قيمة إضافيّة بمشاركة أسماء مثل اسمكَ.

ربّما ستكون سعيدًا إذا أخبرتُكَ أنّ كتابي(٢٨) الّذي تشرّفَ بإهداء نفسهِ إليكَ، يسير في الطريق الصحيح: لقد نفدت العشرة آلاف نسخة الأولى، وقُبيْلَ رأس السنة، ستصدرُ طبعة جديدة.

أفكّرُ بكَ كثيرًا، وأرجو لكَ الخيرَ في صحّتك وفي عملكَ دائمًا. أرجو أن تتفضّل بإيصال تحيّاتي إلى ابنتك(٢٩) ، وأن تحافظ على رحابة صدرك تجاه صديقكَ المخلص

ستيفان زفايغ

---

(٢٧) انتظم مهرجان هاندل من 6 إلى 8 جوان 1925 في لايبزيغ، وقد واكبهُ ستيفان زفايغ رفقة صديقه رومان رولان.

(٢٨) القتال مع الشيطان.

(٢٩) إشارة أخرى إلى آنا فرويد.

بيرغاسّ 19، فيينًا

5 فيفري 1926

صديقي العزيز،

لقد مرّ عيدُ ميلاد رومان رولان، ولا بدّ من أنّ الكتاب الجماعيّ المُهدى إليه قد صدر. وعلى الرّغم من أسفي على عدم وصول أيّ نسخة منه إليّ، لن أستغربَ إذا علمتُ أنّهُ ليس عليّ انتظار ذلك؛ لكنّني أريد فقط أن أعرف، لأنّني أرغبُ امتلاك واحدة في مكتبتي. لذلك، أردتُ أن أسألكَ عمّا إذا كانت دار النّشر تنوي إرسال نسخة إلى كلّ من المشاركين. إنّهُ سؤال، وليسَ طلبًا على الإطلاق.

مع تحيّاتي الوديّة

فرويد

سالزبورغ، 6 ماي 1926

أرجو، أستاذنا القدير، أن تقضّي يوم الاحتفال هذا في ابتهاج وصحّة جيّدة وافتخار تسمحُ لكَ به أعمالك الخالدة(٣٠)

ستيفان زفايغ

(٣٠) انتظم مهرجان هاندل من 6 إلى 8 جوان 1925 في لايبزيغ، وقد واكبهُ ستيفان زفايغ رفقة صديقه رومان رولان.

د. ستيفان زفايغ،
سالزبورغ، كابوزينربرغ،
فيينًا، 8 ماي 1926

(شكرا جزيلا) لا تكفي لتعبّر عن مدى امتناني[٣١].

صديقك فرويد

(٣١) من المرجّح أن تكون هذه البرقيّة مرتبطة أيضًا بمقالة نشرها زفايغ إشادة بفرويد في الجريدة النمساويّة -الصّحافة الحرّة الجديدة- بعنوان: (سيغموند فرويد: بمناسبة عيد ميلاده السبعين)

سيمرينغ، بيرغاسّ 19

فيينًا 4 سبتمبر 1926

صديقي العزيز،

تمنّيتُ أن لا أتعرّف أبدًا إليكَ، وأن لا تتعامل معي بكلّ هذا اللّطف وهذا الاحترام؛ ذلك أنّني أشعرُ اليومَ بشيء من الانزعاج وأنا أسألُ عمّا إذا كان حكمي على أعمالك الأدبيّة غير متأثّر بأيّ تعاطف شخصيّ، في الوقت الّذي إذا وقعت فيه المجموعة القصصيّة نفسها(٣٢) بين يديّ ولم أكن على معرفة

بكاتبها، لن أتردّد لحظة واحدة في قول إنّني أمام كاتب حقيقيّ وإبداع من الدّرجة الأولى(٣٣) إنّني أعتقد حقًّا أنّ هذه القصص الثلاث (أو لأقل، حتّى أكون أكثر صرامة، اثنتين منهما، من الرّوائع الأدبيّة. وقد قرأتُ القصّة الأولى قبل نشرها،

---

(٣٢) مجموعة (فوضى الأحاسيس) المنشورة في لايبزيغ سنة 1927، وتضمّ إلى جانب القصّة الّتي حملت عنوان الكتاب قصّتيْنِ هما:)أربع وعشرون ساعة من حياة امرأة و تحطيم قلب. وفي نسخة فرويد في مكتبته في لندن، كَتبَ الإهداء التالي: إلى الأستاذ سيغموند فرويد، مع التقدير القديم المتجدّد، ستيفان زفايغ، 1926.

(٣٣) قدّم زفايغ إلى فرويد مسوّدة من ثلاث قصص سنة 1925، كان من بينها قصّة ،أربع وعشرون ساعة من حياة امرأة، الّتي سيعتمدها فرويد لاحقًا في دراسته (دستوفسكي وقتل الأب).

البلوغ ! وهذا لا يُنقص من اللّاوعي شيئا، بل يمكن أن يكون أساسا لجميع قصائد التحرّر الشعريّ أو أعمال فاغنر الموسيقيّة على سبيل المثال. أمّا بالنسبة إلى البناء الإنشائيّ، فالاستمناء فيه غير قابل للاستعمال وكان من الضروريّ استبداله بشيء آخر. وفي قصّتك، كان اللّعبُ البديل المناسب. إنّ الشخصيّة الصلبة الّتي لا تقاوم وانتكاساتها الكثيرة على الرّغم من عزيمتها القويّة والخطر القاتل المحدّق بها، هي عناصر يمكن قراءتها مباشرة في ضوء النموذج الأوّل. إنّ أوّل اسم وجدهُ الاستمناء لنفسه في غرفة الطفل هو (اللعب) لعبة يخشى الطفل خطورتها بعد أن قيل له أنّها إمّا أن تصيبه بالجنون أو تؤدّي بحياته وكان للقيمة الّتي أعطيتها لليديْن ونشاطهما والبراعة الغريبة الّتي وصفت بها ذلك دورًا مفيدًا حقًّا في بناء هذه المقاربة.

في أثناء ممارسة العادة السريّة، تضطلع اليدُ بوظيفتها التناسليّة. وفي قصّتك، تمّت الإشارة بوضوح إلى اضطلاع اللاعب الشّاب بدور الابن على نحو يصعب معه تصديق أنّكَ لم تقصد ذلكَ عن وعي. لكنّني أعرف أنّ الأمر لم يكن كذلك وأنّكَ أعملتَ لاوعيكَ. وعلى هذا النحو، كان عمر الشّاب البولونيّ في قصّتكَ مثلا 24 عامًا وهو العمر نفسه للابن البكر للمرأة الّتي تبلغ 42 عامًا بعد أن تزوّجت في السابعة عشرة من عمرها.

إذا كُنتَ في مقدّمة قصّتكَ قدْ أيّدتَ فكرة أنّ كلّ امرأة معرّضة لنزوات غير متوقّعة، فثمّة في هذا الإقرار الظاهريّ تأكيدٌ لفاعليّة اللاوعي في حياتنا النفسيّة. ومع ذلكَ، فقد أكّد مضمون قصّتكَ أنّ دوافع هذه النزوات قابلة للتحديد. لقد سعت الأرملة كي تظلّ وفيّة

لزوجها إلى حماية نفسها من إغراءات الرجال الآخرين، ولم تعرف باعتبارها أمًا أنّهُ لديها أيضًا تعلّق شبقيّ بابنها، قابل للتفعيل، ويمكن أن يقودها القدر إليه. لقد تمّ وصف هذا كلّه بطريقة مناسبة ودقيقة في قصّتك، غير أنّ ما أقوله هنا تحليليٌّ ولا يحاول مطلقًا تقييم عملكَ جماليًّا.

أمّا القصّة الثانية(٣٤)فهي أقلّ شأنًا من الأولى، وقد يشعر القارئ أنّك لم تبذل فيها المجهود الإبداعيّ نفسه، كما أنّ موضوعها التحليليّ واضح ولا يحتاج إلى تفسير: غيرة الأب من الحياة الجنسيّة لابنته المراهقة بعدَ أن كانت في الأصل موضوع رغبته الجنسيّة وملكيّتهُ الخاصّة. لكنّ هذا الأمر يدفعنا دون أن نشعر إلى اتّخاذ موقف عدائيّ. وعندما نجدُ أنّ حقوق الأب قد سقطت بالتقادم وأنّهُ غير قادر على أن يكون منافسا حقيقيًّا للشباب، وأنّهُ أدّى واجبه على أكمل وجه عندما وفّر لنسائه الحماية الماديّة، يظلّ تفاعلنا مع مصيره باردًا. أمّا القصّة الثالثة(٣٥)، فليس فيها شيء لتحليله. وموضوعها الرئيسيّ واضحٌ: رجلٌ يحبُّ رجلا آخر. غير أنّ هذه الوضعيّة تطرح إشكالا في نظر عدد كبير من النّاس، وخاصّة في نظر أولئك الّذين يعتبرون أنفسهم أسوياء. لماذا لا يقبل الرّجلُ حبَّ الرّجُلِ الجسديّ حتّى عندما يشعر أنّهُ متعلّقٌ به عاطفيًّا بقوّة؟

---

(٣٤) قصّة (تحطيم قلب).

(٣٥) فوضى الأحاسيس، صدرت ترجمتها العربيّة بالاشتراك بين دار مسكلياني للنشر والتوزيع ودار مسعى للنشر والتوزيع، تونس- الكويت، 2018. (ترجمة: ميساء العرفاوي).

ليس هذا منافيًا لطبيعة الإيروس الّذي بإمكانه إذا تجاوز التنافس الطبيعيّ بين الرّجال (المتجسّد في النزوع إلى الغيرة)، أن يحقّق نجاحات مهمّة. إلى جانب هذا، سيكون حبّ الرّجل لرجلٍ أسهلَ في مستوى التطوّر التاريخيّ للعلاقات بين الأجناس، وقد يكون أيضًا أكثر إرضاءً باعتبار أنّهُ لن يكون من الضروريّ تجاوز ما تبقّى من الغرابة بينَ الرّجل والمرأة، ولا إخفاء عنصر الساديّة الإضافيّ الّذي قد يسمّم العلاقات بين الجنسيْن. والأهمّ من هذا أنّهُ ليس معارضًا للطبيعة البشريّة، لأنّ البشر بطبيعتهم مزدوجو الميل الجنسي. علاوة على ذلك، لم يكن العجز (عجزُ المثليّ عن ممارسة الجنس مع المرأة) موجودًا دائمًا، ويبدو أنّهُ لم يوجد إلّا في عصرنا، وليس عندَ الجميع حتّى. وحيثما وُجدَ، لن يكون التغلّب عليه ممكنًا إلى درجة أنّهُ على كلّ مَنْ يواجهه أن يتألّم دونَ أملٍ في تجاوزه. ما هو أساس هذا البرود الّذي يبدو عضويًّا دون أن نستطيع تفسيره بما هو عضويّ؟ لا نعرف، كما أنّ القصّة لا تحاول اكتشافه، وكان ذلك مقصودًا بلا شكّ. صحيحٌ أنّها سلّطت الضوء على العلاقة القديمة بالأب مبرزة محاولات التعويض من خلال المبالغة العنيفة في تصوير الفحولة، لكنّها اكتفت بتقديم المشكل كما نواجهه، وبكثير من الإبداع والصّراحة وحُبّ الحقيقيّ من الأشياء والصّادق منها، على نحو جعل قصّتكَ حرّة من الأكاذيب ومن مشاعر عصرنا الزائفة كلّها إلى درجةٍ أعترف فيها أنّني لم أستطع تخيّل ما هو أكثر نجاحًا منها. غير أنّ هذا المديح ليس بعيدا عن أن يتحوّل إلى تبكيت. إنّ الوصف الدقيق الّذي يتكيّف مع كلّ وجهٍ من وجوه الموضوع ويجعل أدقّ المشاعر البشريّة قابلة للإدراك، قد يُفسد الانطباع المتكوّن لدى القارئ، ذلك أنّهُ لا يترك له شيئا ليخمّنهُ أو ليكمله، على نحو يجعل إعجابه بالكاتب أكبر من اهتمامه بموضوع الوصف. من ناحية أخرى، ربّما لن يستسيغ

النقّاد هذا العمل ولن يصلوا إلى تمثّل مدى صدق المؤلّف فيه، وسيحوّلون النظر إلى أمر عرضيّ في القصّة وسيبحثون عن (فوضى الأحاسيس)في علاقة الشّاب الغراميّة بزوجة الأستاذ المعشوق. غير أنّ حضور شخصيّة المرأة في هذا السياق لم يكن إلّا لتأكيد الموضوع الأساسيّ للقصّة. إنّ العقدة السرديّة في قصّتكَ مرتبطة حصرًا بحقيقة أنّ الشّاب يرغبُ في الاستجابة لحبّ أستاذه، لكنّه لا يستطيع ذلك بسبب أمر داخليّ غامضّ يحرّم عليه هذه الاستجابة.

في النهاية، إذا قارنتُ قصصك بأعمال الرّجل الّذي يجب أن نعترف لهُ بمقدرته على الوصول إلى أعمق المشاعر المرتبطة بما هو مكبوت في اللاوعي، سيكون الفرقُ لصالحك. لقد كان د.(٣٦) عُصابيًّا نزقًا، ويمكن أن يلاحظ المرء في إنتاجه محاولة أنانيّة للتخفيف من حدّة نزعته العدوانيّة وإن بنوع من الإشباع الرمزيّ؛ وهو ما يدفعه أثناء الكتابة إلى انتهاز الفرصة لترويع القارئ والإساءة إليه. أمّا أسلوبك فأسلوب المُلاحِظِ والمُنصِتِ والمكافح الهادئ والدافئ من أجل التقدّم في فهم أغوار النفس البشريّة الهائلة. كما أنّكَ نفسكَ لستَ عنيفًا.

وبدلا من الاعتذار عن هذه المحاولة التشريحيّة الصغيرة، أشكرك وأحيّيك بحرارة.

فرويد

---

(٣٦) دستوفسكي.

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

8 سبتمبر 1926

أستاذنا،

إلى جانب عملكَ الفكريّ، أنتَ تتقنُ بروعةٍ فنًا عظيمًا آخر: وهو إخجالُ النّاس بطيبتكَ الكبيرة! ولا يرتبطُ الأمرُ هنا بقيمة الكلمات الّتي وجّهتها إليّ فحسب، بل بأنّكَ على الرّغم من انشغالاتك الكثيرة والمشكلات اليوميّة الّتي تواجهها، قمت باستغلال وقت راحتك لتتأمّلِ بعمق عملًا يدينُ لك بالكثير في حقيقة الأمر. وقد أخجلني هذا كلّهُ حقًّا. ولم أستطع البارحة الكتابة إليك.

اِسمَحْ لي، أن أعبّر بوضوح عمّا أدين لك به مثلما يدين لك به الكثيرون: إنّها الشجاعة الّتي نتعلّمها من علم النفس. لقد أزلتَ العوائق أمام فهم شخصيّات لا حصر لها، بل وفهم أدبِ حقبةٍ بأكملها. لقد صرنا بفضلك نرى الكثير من الأشياء، كما صرنا بفضلكَ نقولُ الكثير من الأشياء الّتي لم تكن لتُرى أو تُقال دونكَ. ولم يتّضحْ هذا كلّهُ بعدُ لأنّ شِعرنا لم يُقيّمْ إلى الآن من وجهة نظر تاريخيّة ولا حسب علاقاته السببيّة وسوف نعرف بعدَ عقدٍ أو عقديْن آخريْن أين يكمن الرّابط الّذي سيمنحنا فجأة جرأة تحليليّة نفسيّة لنقارب بروست في فرنسا ولورنس وجويس في انجلترا، إلى جانب بعض الألمان. سيكون هذا الرّابطُ اسمكَ أنتَ، ولن ننكر أبدًا فضل المؤسّس الأوّل.

لقد أصبح علم النّفس بالنسبة إليّ شغف حياتي الكبير (وبإمكانك أن تفهم هذا أكثر من أيّ أحدٍ آخر). وعندما سأتعمّق في هذا العلم

بما فيه الكفاية، أرغب في اعتماده لتحليل أصعب موضوع، وأقصدُ نَفْسي. إنّ السيرة الذاتيّة في العصر ما بعد الفرويديّ يمكن أن تكون أكثر وضوحًا وأكثر جرأة من السير الذّاتيّة(٣٧) الّتي كتبها أسلافنا كلّها. وأنا أدرسُ الآن تولستوي من هذه الزّاوية إنّهُ يحرّض كلّ يوم على الشجاعة والصّدق، لكنّهُ يتجنّبُ الحقائق الأكثر وضوحًا. وإلى اليوم لم يضع أحد تجربته تحت المجهر، ولديّ رغبة كبيرة في

القيام بذلك. أمّا عن الكتّاب الأصغر سنًّا، كان هانس ياغر(٣٨) جريئا (دون أن يمتلكَ معرفة كافية) في روايتيْه صورة كريستيانيا وحُبّ مرضيّ. أمّا كتابُ فرانك هاريس(٣٩) الّذي لم أتمكّن بعدُ من الحصول عليه، فأعتقد أنّهُ سيكون جريئا أيضًا. لكنّني أعتقد أنّ عصرنا الضّعيف من حيثُ الإنتاجيّة سيتركُ بعض الآثار والمعارف الّتي ستكون مدينة لك بشيئيْن أساسيّيْن: الشجاعة والإنجاز.

لا أتمنّى لكَ إلّا أن تظلّ صحّتكَ جيّدة وأن يستمرّ عملكَ في النموّ. إنّك تلعب الدّور الحاسم في المعركة الخفيّة من أجل فهم النّفس البشريّة.

---

(٣٧) سيحاول زفايغ نفسه كتابة السيرة الذاتيّة في كتاب: (عالم الأمس، ذكريات أوروبيّ)، ستوكهولم، 1944.

(٣٨) إشارة إلى الكاتب النرويجيّ هانس ياغر (1854 - 1910)، من أهمّ كتبه (صورة كريستيانيا) (1888) وحبّ مرضيّ (1893)، واعترافات (1902) وعن السجن واليأس (1903).

(٣٩) جايمس توماس هاريس (1856 - 1931)، كاتب إيرلنديّ عُرف بفرانك هاريس، صدرت سيرتهُ الذاتيّة في لندن سنة 1923 وتُرجمت إلى الألمانيّة سنة 1926.

وستظلّ دومًا الشّخص الوحيد القادر على أن يشرح لنا بطريقة إبداعيّة ميكانيكا الرّوح. ونحن نحتاج إليكَ وإلى عملك أكثر من أيّ وقت مضى.

مع مودّة وتقدير وامتنان صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

نزل (قصر سان جورج)

طريق فريجو، كانْ

18 مارس 1927

أستاذنا،

بقي يومان على مغادرتي كانْ، وأردتُ أن أرسلَ إليكَ كلمة صغيرة. أعرفُ أنّ زُوّار مهرجان بيتهوفن(٤٠) يثقلون كاهلك بزياراتهم، ومع ذلكَ سأسمحُ لنفسي بأن أحدّثكَ قليلا عن جول رومان لا لأنّهُ واحدٌ من أفضل الشّعراء الفرنسيّين، لكن لأنّهُ أوّل من اهتمَّ منهم بكتابة مقالة عن أعمالك في المجلة الفرنسيّة الجديدة الّتي لها تأثير كبير في الأوساط الثقافيّة الفرنسيّة؛ وهو هذه الأيّام في فيينّا لمواكبة مهرجان بيتهوفن، وستجعلهُ إمكانيّة لقائه بك سعيدًا للغاية. ولذلك، أرجو أن تسمحَ لك صحّتكَ بنصف ساعة معه.

رافقتكَ محبّتي وتفكيري الدّائم بك !

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(٤٠) انتظم هذا المهرجان للاحتفال بمئويّة بيتهوفن، يوم 26 مارس 1927.

(٤١) صديق زفايغ.

غزّة ماي 1928

صديقي العزيز،

أشكرك كثيرًا على هديّتك الجديدة(٤٢) . ستظلُّ قراءةُ أيّ شيء لك متعة كبيرة بالنسبة إليّ. يا لطاقة العمل الّتي لديكَ ويا لها خصوبة تمتلكها ! لقد وصلَ فهمك للآخرين واستيعابك لتجاربهم إلى مرحلة الكمال، لكنّني، والحقيقة تُقال، أفضّل المبدع فيك (فوضى الأحاسيس). وفي النهاية، أحيّيكَ على التواضع الكبير الّذي لديك، والّذي يعتبر ميزة نادرة عندَ المبدعين.

مع تحيّاتي الوديّة

فرويد

---

(٤٢)يشير فرويد هنا إلى كتاب ثلاثة شعراء وحياتهم: كازانوفا، ستيندال، تولستوي المنشور في لايبزيغ سنة 1928.

برلين تيغيل[٤٣]

19 سبتمبر 1929

شكرا لكَ على الكتاب الأخير الجميل[٤٤]الّذي أرسلته.

صديقك المخلص

فرويد

(٤٣)يشير فرويد هنا إلى كتاب ثلاثة شعراء وحياتهم: كازانوفا، ستيندال، تولستوي المنشور في لايبزيغ سنة 1928

(٤٤) كتاب (جوزيف فوشي): وزير الأمن في زمن نابوليون- المنشور في لايبزيغ سنة 1929.

بيرغاسّ 19، فيينّا
4 ديسمبر 1929

صديقي العزيز،

أريد أن أشاركك شيئا من استغرابي. بينما أقوم هذا اليوم بنزهتي الاعتياديّة، لفت انتباهي ملصق إشهاريّ ضخم أطلق من خلاله المدعوّ ش. مايلان(٤٥)حملة دعائيّة كبيرة يعلن فيها عن موعد ندوته الموجّهة ضدّي والّتي ستنعقد في السابع من ديسمبر القادم.

على كلّ حال، لا أستغرب هذا من حقود عدوانيّ وآريّ متعصّب مثله، خاصّة وأنّه قد طُردَ من برلين لاختلاله الذهنيّ وعدم كفاءته بُعيْد بضعة أشهر من محاولته متابعة برنامج تكوين في التحليل النفسي هناك. وبعد ما حصل معه، انتقامًا وسعيا وراء الشهرة على الأرجح، نشر عنيّ كتابًا خَدْجًا نعته د. دريل(٤٦) بكلّ بساطة في مقال له في جريدة فرانكفورت بالفضيحة، كما استطاع إقناع البروفيسورة شموتزر بطرق ملتوية بإمكانيّة إعادة رسم بورتريه لي، إلى جانب أنّهُ يكتب إليّ رسائل تختلط فيها عبارات الإخلاص والوقاحة على نحو غريب.

---

(٤٥) شارل إيميل مايلان: من مواليد عام 1886. يذكره شنيتزلر في مذكّراته بتاريخ 5 جوان 1914 قائلا: هذا الصّباح، زارني ألبرت شتاينروك صحبة تلميذه مايلان في سيّارة سباق صغيرة يملكها هذا الثريّ الأمريكيّ. نشر مايلان في ميونخ سنة 1929 كتاب عقدة فرويد التراجيديّة: تحليل للتحليل النفسيّ، وكانت مقدّمتهُ عبارة عن رسالة مفتوحة إلى البروفسر سيغموند فرويد. وممّا نجدهُ فيها قوله: حتّى أستعمل مصطلحاتك، ثمّة إذن صراع بين الأب الأوّل (الّذي هو أنتَ) والابن (الّذي هو أنا) الّذي أحدث قطيعة مع العلاقات الإنسانيّة الذكوريّة المرتبطة بقيم الجماعة والقطيع ويتقدّمُ الآن نحو الظفر بالأمّ الأولى. غير أنّ هذه الأمّ في حالتنا هذه اسمُها الحقيقة، ولأجلها نناضل ونحارب.

(٤٦)روبرت دريل: محرّر في صحيفة فرانكفورت.

(٤٧)أليس شموتزر (-1884 1949): زوجة الرسّام والنحات النمساويّ فرديناند شموتزر (-1870 1928). اشتهرت بصالونها الأدبيّ في ثلاثينيّات وأربعينيّات القرن الماضي.

(٤٨)يحتوي كتاب مايلان على نسخة من صورة لفرويد من منحوتة أنجزها شموتزلر سنة 1926.

من إحدى جرائد برلين وبينهما رأيٌ لكَ. هل يُعقل هذا؟ هل قرأتَ الكتاب؟ ألمْ تنتبه إلى نواياه السيّئة؟ كيف أمكنك إذن أن تنخدع بهذا الرّجل؟ أم أنّ ذلك رأيك فيه حقّا؟

إذا كان الأمر كذلك، أعتقد أنّ علاقتنا الوطيدة تسمح لي بأن أطلب معرفتهُ منكَ مباشرة.

مع خالص التقدير

صديقك

فرويد

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

6 ديسمبر 1929

أستاذي العزيز،

إنّ ما أخبرتني به في رسالتك اللّطيفة يزعجني أيّما إزعاج. أنا لا أعرف مطلقًا هذا المدعوّ مايلان ولم أتحدّث قطّ عن كتابه علانية. لقد أرسلهُ إليّ منذ مدّة مع رسالة، وقد تصفّحتهُ بسرعة ودون عناية كبيرة، ولم أكن لأفعل ذلك لو لم تكن صورتكَ على غلافه ولو لم يكن متعلّقًا بك أساسًا(٤٩). لذلك كتبتُ إليه لأقول إنّ هذا الكتاب على غاية من الأهميّة بالنسبة إليّ خاصّة وأنّني منكبٌّ على عمل كبير عنكَ، مؤكّدًا أنّني على الرّغم ممّا وجدتهُ من جديّة في المنهج الّذي اعتمده، فإنّ الطريقة الّتي استعملهُ بها بدت لي مراوغة. بعدَ ذلك،

(٤٩) من المثير للاستغراب في هذه الرّسالة عدم انتباه زفايغ إلى النزعة العدائيّة لفرويد في كتاب مايلان، خاصّة وأنّهُ يمكن ملاحظتها من صفحاته الأولى، بل من عنوانه وحده. وسيتسبّب هذا الخطأ الّذي ارتكبه زفايغ بتدهور كبير في ثقة فرويد به وفي طريقة تعامله معه.

وصلتني من السيّد مايلان رسالة يطلب منّي فيها أن أوضّح ماذا أقصد بالضبط بعبارة مراوغة . لم أجبهُ؛ وها أنتَ الآن تخبرني ويا لدهشتي حيال هذا أنّهُ على الأرجح قد أخرجَ بعض عبارات الكياسة من سياقها في رسالتي الّتي شكرتهُ فيها على إرسال الكتاب، ليضعها على ملصقه الإشهاريّ. أنا لا أعرف الجُمل الّتي استطاع اقتطاعها من رسالتي حتّى، وبطبيعة الحال، لا أتذكّر أيّ شيء ممّا كتبتهُ إليه. لكنّ هذه الطريقة في إساءة استخدام بعض الكلمات المقتطفة من رسالة وإخراجها عن سياقها، أمورٌ غير محتملة حقًّا، وسأطلب من هذا الرّجل على الفور أن يتوقّف عن ألاعيبه. على المرء أن يكون حذرًا مع هذا النّوع من الناس.

أمّا عنكَ، فأشكرك شكرًا صادقًا أستاذي العزيز لأنّهُ لم يذهب في ظنّكَ لحظة واحدة إمكانَ أن أكون على علم بهذه الدسيسة. لم أكن قريبًا منكَ ومن أعمالك مثلما أنا الآن، ولهذا السّبب فحتّى التفسير المغلوط والتبسيط المفرط لأعمالك يجب أن يكون لهما أهميّة مّا بالنسبة إليّ في وقت القراءة على الأقل (الآن سأدقّق النظر في هذا الكتاب طبعًا). أعرف أنّك من وجهة نظرك الشخصيّة، ربّما تكون غاضبا من هذه التأويلات الخاطئة لمذهبك. أمّا نحنُ، من الخارج، فنرى الأشياء بشكل مختلف، ونعرفُ جيّدًا أنّ هذه الأعشاب الطفيليّة دائمًا ما تلتفُّ على جذعِ أيّ شجرةٍ معرفةٍ حقيقيّة، وأنّها تسقط بالفعل في غضون وقت قصيرٍ مثل الأوراق الميّتة، وأنّهُ وحدهُ الجذعُ عاريًا هو الّذي سيبقى.

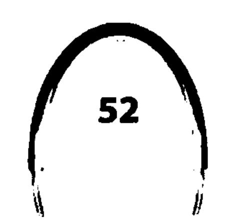
لقد انتهيتُ للتوّ من قراءة أربعين أو خمسين من المناشير القديمة ضدّ ميسمر(٥٠) كتب أغلبها أولئك الّذين كانوا أتباع مذهبه في البداية، ولم يزد ذلك إلّا من الاهتمام به، مثلما لم يبق منهم أحدًا في التاريخ غير صاحب الفكرة الإبداعيّة الأولى.

في هذا العمل المخصّص لميسمر، ستجدُ العديد من أوجه الشبه بين قدريْكما، ويبدو لي أنّ هذاعلامة من علامات الرعاية الّتي جعلتنا نؤسّس التحليل النفسيّ مرّة أخرى، وفي المدينة نفسها بعدَ حوالي قرن من الزمن، وأنّ أكاديميّي وأساتذة 1785 يشبهون على نحو بائس أساتذة 1885.

أرجو أن تثير أطروحة هذا الكتاب اهتمامك، فبالنسبة إليّ، ميسمر هو كولومب، باعتباره مكتشف العلاج النفسيّ، ولكنّهُ كولومب أيضًا بمعنى آخر، لأنّهُ كان يعتقد إلى آخر حياته أنّهُ اكتشف الطّريق البحريّ إلى الهند في حين أنّهُ في الحقيقة اكتشف القارة الأمريكيّة. أريدُ أن أثبتَ، على عكس الآخرين، أنّهُ وضع إصبعه على مسألة الدوافع النفسيّة والتنويم المغناطيسيّ دون أن يعرف ذلك أو يفهمه لأنّ الأوهام القروسطيّة حول الجاذبيّة أغشت بصرهُ. لكن، سيكون من الضروريّ أن نثبت أوّلًا أنّ مسمير لم يكن أبدًا دجّالا بقدر ما كان رجلا مثاليّا وباحثا صادقا، وثانيا أنّ الأكاديميّات والجامعات تجاهلتهُ لمدّة قرن من الزمن بأكثر الطرق لا معقوليّة بل وأكثرها حسدًا.

---

(٥٠) فرانز أنطون ميسمر (1734، 1815): طبيب وعالم نفس، عرف بمذهب المغناطيسيّة الحيوانيّة. أسّس سنة 1785 مشفى في فيينّا ليمارس فيه طريقته العلاجيّة.



بعد المقالة الطويلة حول ميسمر، سيكون ثمّة فصل إضافيّ صغير حول السيّدة إيدي(٥١) ، نصفهُ جدّيٌّ ونصفه الآخر مرِحٌ؛ أمّا الجزء الكبير الثّاني من العمل، والمنتظر منذ سنوات، فسيكون عنكَ وعن أعمالك. وعلى هذا النحو سيكون العمل أساسا حول حدوس ميسمر التحليليّة إلى جانب اكتشافك لمنهج العلاج النفسيّ أو شفاء الرّوح كما سيكون عنوان الكتاب.

لقد استأذنتُ الآنسة ابنتك في المجيء إلى فيينّا في أقرب فرصة والعمل 8 أو 15 يومًا على أرشيف التحليل النفسيّ هناك، وربّما يتاحُ لي الاطّلاع أيضًا على بعض الموادّ التحليليّة الخاصّة. ولا لشيء إلّا لعقد مشابهة بينك وبين ميسمر، أحتاج إلى بعض المستندات عن المقاومة والرّفض والسخرية الّتي تعرّضت إليها، إلى جانب الوثائق المتعلّقة بالنحو الّذي تعاملت به الجامعات معكم ومقالات السخرية والاستهزاء المنشورة في هذا الإطار، وسأطلب من أصدقائك مساعدتي على جمع هذه الوثائق. لقد أصبحت الآن وجهة هذا العمل

واضحة بأتمّ معنى الكلمة بالنسبة إليّ، وربّما لن يكون ثمّة أيّ تبجّح في أن أجزمَ بأنّ النحو الّذي سأتناول به هذا الموضوع سيجعل من مستوى النقاش فيه أعلى من مستوياتنقاشه في أغلب الأعمال السابقة. إنّني لن أهتمّ كثيرا بالجوانب العلاجيّة الصّرفة لهذا المنهج بقدر ما سأهتمّ بتأثيراته الكونيّة،

---

(٥١) ماري باكر إيدي (1821، 1910): مؤسّسة العلوم المسيحيّة.

وبالتحـوّلات الحاصلـة مـع اكتشـافه فـي جميـع التمثّـلات الروحيّـة والأخلاقيّـة.

أشكرك مرّة أخرى أستاذي العزيز والمحترم على عدم إساءة الظنّ بي بخصوص هذا الأمر، وسأقول لهذا السيّد قبل نهاية اليوم ما أفكّر به حقًّا.

مع حبّي الصّادق، صديقك المخلص دومًا

ستيفان زفايغ

أريد أن أبدأ دراستي الكبيرة حول أعمالك في مارس المقبل (سأكون انتهيت من ميسمر والسيّدة إيدي وقتها)، راجيًا أنَ أنتهي من الكتاب قبل الصائفة المقبلة.

بيرغاسّ 19، فيينّا

7 ديسمبر 1929

صديقي العزيز،

كنتُ واثقا من أنّكَ ستتفهم جيّدًا موقفي من هذه الحادثة(٥٢). إنّ تقصّد الإساءة أقرب إلى هذا المحتال منك، كما أن الغدر أبعد ما يكون عنك. ومع ذلك، أريد أن أؤكّد على ما أشرتَ إليه من ضرورة الحرص على عدم السّهو عن مثل هذه الأشياء، فمنذ دخلت الطرق الإعلامية الأمريكيّة إلى أوروبا، أصبحَ من الصعب على المرء أن يضبط نفسهُ ويدقّق تصريحاته. أمّا عن التعليق المنسوب إليك والمنسوخ اليوم على أحد أعمدة موريس الإعلانيّة فهو الآتي: عمل هامّ للغاية، ونظرة ثاقبة تمكّنت مقارنة بأغلب من حاولوا دراسة فرويد من الوصول إلى أكثر الأشياء غموضًا وعمقًا في أعماله

من المؤكّد أنّ المعطيات المتعلّقة بالجزء المخصّص لي من كتابك الجديد أهمّ بالنسبة إليّ من ندوة ذلك الدعيّ. وباعتبار أنّهُ سيكون من المستحيل ثنيُكَ عن هذا المشروع، لم يبق لي إلّا أن أسهّل عليكَ الأمور. لقد جمع آ. شتورفر(٥٣)

---

(٥٢)ندوة مايلان ضدّ فرويد (انظر رسالة 4 ديسمبر 1929).

(٥٣) ألبرت جوزيف شتورفر (1888، 1944): تكفّل سنة 1921 بإدارة الـ انترنازونالر بسيشوأناليتيشر فيرلاغ (دار نشر تهتمّ بكلّ ما يتعلّق بالتحليل النفسي في العالم).

مديـر التحريـر لدينـا كنـوزا مـن المقـالات المعاصـرة عنّـي، وهـي متوفّـرة لديـه فـي الأرشـيفات وسـيضعها بـكلّ تأكيـد علـى ذمّتـك. ودون أن يذهـب فـي ظنّـك أنّنـي أرغـب فـي التأثيـر علـى وجهـة نظـرك، أريـد فقـط أن أقـول لـك شيئا واحـدًا حـول الأوسـاط الرسـميّة فـي فيينّـا، وقـد لا يتناسـب مـع تشبيهي بميسـمر. كلّ مـا فـي الأمـر أنّـهُ لـم يتـمّ الاهتمـام بـي، وكان ذلـك جيّـدًا. مـا الّـذي كنـت سـأفعلهُ بكرسـيّ

للطـبّ أو التحليـل النفسـيّ فـي الجامعـة ؟ لـم يكـن ذلـك ليكـون إلّا مزعجًـا أو عديـم الجـدوى. أمّـا الّـذي أسـاءوا إلـيّ فليسـوا فـي النهايـة سـوى تلامـذة منشـقّين إذا صـحّ القـول مثـل يونـغ وأدلـر وشـتيكل ، وهـم أفظـاظ فظاظـة باقـي البشـر كمـا يقـول هايْـن.

مودّتي

فرويد

---

(٥٤)تنـاول زفايـغ مسـألة علاقـة فرويـد بالجامعـة أكثـر مـن مـرّة وعلـى نحـو غيـر دقيـق. وفـي مقالـه المهـدى إلـى فرويـد بمناسـبة عيـد ميـلاده السـبعين (انظـر رسـالة 6 مـاي 1926) كتـب زفايـغ: إلـى اليـوم، لـم تمنـح الجامعـة سيغموند فرويـد، أشـهر رجـل فـي العالـم والمدينـة والبلـد، رتبـة أسـتاذ متميّـز. وفـي الواقـع تـمّ تعييـن فرويـد منـذ جانفـي 1920 أسـتاذا متميّـزا فـي كليّـة الطـب بجامعـة فيينّـا. مـن ناحيـة أخـرى، غالبـا مـا نجـد فرويـد معترضـا علـى فكـرة عبّـر عنهـا زفايـغ فـي أكثـر مـن مناسـبة، وهـي أنّـهُ محـاط فـي الجامعـة مزمـلاء مليئيـن بالحسـد والكراهيـة

(٥٥). يعود الخلاف بين فرويد وكارل غوستاف يونغ (1875 - 1961) إلى سنتي 1913 و1914.

(٥٦)ألفـرد أدلـر (1870 - 1937): تلميـذ فرويـد ومؤسـس علـم النّفـس الفـرديّ. اختلـف مـع فرويـد منـذ 1911.

(٥٧)فيلهلم شتيكل (1868 ،1940): عالم نفس نمساويّ، اختلف مع فرويد منذ 1912.

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

9 ديسمبر 1929

أستاذي العزيز،

شكرا جزيلا على رسالتك اللّطيفة. أستطيع أن أعترف لك أنّني، ومنذ وقت طويل، سعيد جدًّا بتقدّم هذا العمل(٥٨)، وأعتقد أيضا أنّ المقارنة مع ميسمر لا يمكن أن تعني شيئا آخر غير الجوانب المتعلّقة بالحدس والاكتشاف في أعماله باعتبارها المحاولة الساذجة الأولى الّتي تستشعر المشكل وتحاول استكشافه دون أن تمسك به، وبعدها، بعدَ مائة عام، يأتي التقدّم الحقيقيّ. وبينكما، ثمّة في رأيي مائة عام من سوء الفهم واللامبالاة والخرافات والدجل. ولا أعرف إن كان لديّ ما يكفي من الجرأة لمحاولة سرقة القليل من وقتك في فيينّا ومطالبتكَ في غضون شهريْن أو ثلاثة بقراءة دراستي عن ميسمر.

ربّما غابت عنّي أشياء كثيرة في تجربته، غير أنّ ما يجذبني إليه ليس شيئا آخر غير المأزق التراجيديّ لرجل لم تفصل بينه وبين المعرفة الحقيقية سوى خطوة واحدة خطاها بجانبها بدل الاتجاه إليها مباشرة.

---

(٥٨) إشارة إلى كتاب (شفاء الرّوح).

أمّا عن إعادة الاعتبار إليه، فلأنّ ميسمر لم يكن مطلقا مخادعًا أو وصوليًّا كما يقولون، وإنّما كان واقعيًّا شديد التعقّل وقادرا على التفكير على الرّغم من قيوده القروسطيّة. لا أقول إنّه كان عظيمًا، لكنّهُ كان موهوبًا بحدسه وأفضل من جميع أطبّاء عصره بثقافته الكونيّة.

أمّا عنكَ، فأنا سعيد جدًّا بفكرة إمكانيّة أن أعمل بشكل منهجيّ في (أرشيفات) الدكتور شتورفر على المواد المتعلّقة بأعمالك، وأشكرك كثيرا على تركي حرًّا في التعامل معه مباشرة. لأنّ الشيء الأكثر أهميّة بالنسبة إليك، وأقصد منهج العلاج النفسيّ، ليس الأهمّ بالنسبة إليّ في العمل الّذي أقوم به. ذلك أنّني أعتقد أنّ الثورة الّتي قمت بها في التحليل النفسيّ والفلسفة وكامل البنية الأخلاقيّة لعالمنا، تتجاوز بكثير الجانب العلاجيّ الصّرف من اكتشافك. لأنّ كلّ أولئك الّذين لا يعرفون عنك شيئا وكلّ أناس 1930، حتّى وإن لم يسمعوا أبدا بكلمة (تحليل نفسيّ)، فإنّ تأثّرهم غير المباشر بالتحوّلات الّتي أحدَثتها في نظرتنا إلى النفس البشريّة من تحصيل الحاصل، وسيكون من الضروريّ حقًّا إعادة بناء الذهنيّة النفسيّة لعام 1880 لجعل ما أنتج في السنوات الخمسين الأخيرة قابلا للفهم. لذلك، فإنّ أيّ وثائق قد تتعلّق بالرفض والمقاومة والانزعاج ضروريّة إلى أبعد حدّ بالنسبة إليّ، دون أن يعني ذلك بأيّ شكل من الأشكال تحوّل العمل إلى محاكمة علنيّة لخصوم ذلك العصر.

لقد استعددت لهذا العمل منذ سنوات، وحتّى وإن كان نجاحه جزئيًا، فإنّني أعتقد أنّ فيه من المختصر المفيد ما يكفي، وربّما يكون الحبّة الصغيرة الّتي سترجّحُ كفّة حصولك أخيرا على جائزة نوبل(٥٩) الّتي لا يجب بعد الآن أن يتردّدوا أكثر في منحك إيّاها.

مع حبيّ العميق نفسه

بإخلاص

ستيفان زفايغ

---

(٥٩) يبدو إلحاح ستيفان زفايغ على منح فرويد جائزة نوبل مبالغا فيه. ذلك أنّ فرويد عبّر في أكثر من مناسبة عن رفضه لمحاولات جورج غروديك في ترشيحه لنيلها. وفي رسائل كثيرة عبّر لأصدقائه عن هذا الرفض أيضا. يقول في رسالة إلى ساندور فيرينزي بتاريخ 2 أوت 1927: جائزة نوبل لا تناسبني؛ وفي رسالة أخرى بتاريخ 18 فيفري 1928 إلى إرنست جونز الّذي سيصبح لاحقا كاتب سيرته يقول: من لديه ما يكفي الجنون ليدخل في هذه الترّهات؟.

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

31 ديسمبر 1929

أستاذي العزيز،

أرجـو أن تقبـل شـكري الصّـادق لـك علـى عملـك الاسـتثنائيّ(٦٠) الّذي شـغلني هـذه الأيـام كثيـرا وسيشـغلني أكثـر. لقـد سـارعتُ فـي سـؤال صـحيفة فيينّـا اليوميّـة عـن إمكانيّـة نشـر مقـال أعبّـر فيـه عـن إعجابـي بهـذا الكتـاب(٦١). وهـا أنـا أنتظـر ردّهـم آمـلا أن أتمكّـن مـن التعبيـر عـن مـدى أهميّـة هـذا الكتـاب فـي تتويـج بقيّـة أعمالـك بالنسـبة إلـيّ.

اِسـمح لـي إذن أن أقصـر شـكري هـذا اليـوم علـى هـذه العبـارات السـريعة. إنّ وقتـكَ ثميـنٌ حتّـى تضيّعـهُ فـي رسـائل عاديّـة مثـل هـذه. أمّـا عمّـا لـديّ لأقولـه، فأرغـب فـي قولـه للكثيـر مـن النـاس. إنّهـا لسـعادة حقيقيّـة أن أرى إنتاجـكَ وافـرًا ومتناميًـا علـى هـذا النّحـو، لأنّ هـذا الأمـر يؤكّـد لـي مـن جانـب آخـر أنّـكَ فـي صحّـة جيّـدة. إنّ تواصـلا روحيًّـا مثـل هـذا لا يمكـن للكتابـة بـأيّ حـال مـن الأحـوال أن تسـتوفي حقّـه.

مع تقديري العميق

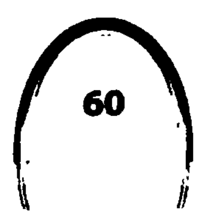
صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(٦٠) يشير زفايغ هنا إلى كتاب (قلق في الحضارة) الّذي نُشر في فيينّا أواخر عام 1929.

(٦١) لـم تنشـر مراجعـة زفايـغ لهـذا الكتـاب فـي صحيفـة فيينّـا اليوميّـة، ونُشـرت لاحقًـا فـي صحيفـة برلـين بتاريـخ 31 مـارس 1930.



هامبورغ

12 أوت 1930

أستاذي العزيز،

اِسمح لي بأن أهنّئك على منحك جائزة غوته، وأرجو أن تمهّد هذه الجائزة الطريق لجائزة نوبل الّتي تستحقّها منذ وقت طويل. لقد هربتُ من المهرجان(٦٢)وذهبتُ إلى هامبورغ لإكمال عملي عنكَ في هدوء. سأنتهي من الكتاب(٦٣)في سبتمر ، وإذا وجدتَ فيه شيئا من المتعة عندها، لن يذهب جهدي سُدى.

مع تقديري الكبير

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(٦٢)من عادة زفايغ أن يغادر كلّ عام سالزبورغ في شهر أوت قبل المهرجان السنويّ الّذي ينتظم في هذه المدينة.

(٦٣) سينتهي زفايغ من كتابة دراسته عن فرويد في آخر سبتمبر. وفي العاشر من أكتوبر 1930 تكتب إليه زوجته فريدريكا رسالة تقترح فيها بعض التعديلات.

غروندلسي

بيرغاسّ 19، فيينّا

14 أوت 1930

صديقي العزيز،

أشكرك على كلامك اللطيف. لقد كانت جائزة غوته مفاجأة بالنسبة إليّ. لقد مرّ وقت طويل لم أعد أنتظر فيه أيّ اعتراف رسميّ. اسمح لي الآن أن أفرحَ بمقالتك التي سأقرؤها قريبا خاصّة وأنّك تكتبها في مدينة هامبورغ التي تربطني بها علاقة خاصّة . أمّا بالنسبة إلى الجائزة الأخرى(٦٥)التي تريد أن تقنعني بأنّها ستجعلني أعيش ما عاشهُ مَتوشالح(فلا أريد التفكير بها. أعترف أنّني رغبت بها مرّة؛ لكن ثمّة من الرّغبات ما يتبخّر أيضًا.

مع تحياتي الوديّة

صديقك المخلص

فرويد

---

(٦٤) ولدَت مارتا زوجة فرويد في هامبورغ، وكان والدها حاخامًا هناك. وبداية من عام 1869 ستستقرّ مع والديها في فيينّا، غير أنّ عائلتها الموسّعة ظلّت في هامبورغ، وكان فرويد يصاحبها في زياراتها إلى هذه المدينة.

(٦٥) جائزة نوبل.

(٦٦) متوشالح: جدّ سيّدنا نوح ومعروف بذكره في العهد القديم بعدّه أكثر من عمّر في الأرض. ويقال أنّه عاش ما يربو عن 960 عاما.

برشلونة(٦٧)

فيفري 1931

أرجو أن تعذرني على عدم إرسال كتابي(٦٨)إليكَ بنفسي. أنا بعيد جدًّا عن لايبزغ حتّى يرسلوا إليّ بعض النّسخ. لذلك طلبت أن تُرسلَ إليكَ نسختك مباشرة من هناك.

مع تقدير صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

(٦٧) استغلّ زفايغ إقامته في الريفيرا الفرنسيّة في هذه الفترة ليقوم بزيارة سريعة إلى برشلونة.

(٦٨)(شفاء الرّوح) نُشر في لايبزغ سنة 1931.

آنتيب، الريفيرا الفرنسيّة،

فندق الكاب، فيفري 1931

أستاذي العزيز،

أرجو أن يكون كتابي بين يديك، وأتمنّى أن لا تجد به الكثير من الأخطاء. تقبّل هذه التحايا وهذا التقدير العميق من صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

بيرغاسّ 19، فيينَّا

17 فيفري 1931

صديقي العزيز،

لقد وصلني عملك الأخير(٦٩)، وها أنا أقرأ لك مجدّدًا موليًا هذه المرّة بطبيعة الحال اهتمامًا أكبر من الاهتمام الّذي أوليته لأعمالك الرّائعة السابقة. وإذا سمحت لي بإعطائك بعض الانطباعات النقديّة حول الكتاب، أودّ قول الآتي: ميسمر هو الّذي بدا لي الأكثر انسجاما ودقّة ونُبلا. وأعتقد مثلكَ أنّ الجانب الأهمّ في اكتشافه، وأقصد مسألة الدوافع، مايزالُ غير محدّد بدقّة، وأنّهُ ثمّة أشياء كثيرة أخرى قابلة لأن تُقال حول هذا الموضوع. أمّا ما أزعجني في مقالتك حول ماري إيدي باكر فهو أنّكَ ركّزت كثيرا على انفعالاتها الحادّة في الوقت الّذي أعتقد فيه أنّها لا يمكن أن تؤثّر كثيرا في أشخاص مثلنا لا يمكنهم أن يتجاهلوا الطابع المرضيّ لهذه الانفعالات. نحن نعرفُ أنّ المسعور يطوّر في أثناء نوبة سعاره قوّة لا يملكها في الأوقات العاديّة. وأعتقد أنّ كلّ ما في تجربة ماري إيدي باكر من جوانب انفعاليّة وإجراميّة حادّة، لم يتمّ تسليط الضوء عليه في المقال الّذي قمت به.

(٦٩)(شفاء الرّوح)

أن لا يحبّ المرء صورتهُ أو أن لا يعرف نفسهُ فيها، فهذا أمر شائع ومعروف. لذلك، أريد فقط أن أعبّر لك عن رضائي على دقّة تناولك لأكثر الأشياء أهميّة في أعمالي. وأقصد أنّنا إذا أردنا الحديث عن أيّ مكاسب حقيقيّة في هذه الأعمال فإنّها راجعة إلى طبيعة شخصيّتي أكثر ممّا هي مرتبطة بمعرفتي الثقافيّة. هنا يكمن جوهر تصوّرك وهذا أيضا ما أعتقده شخصيًّا. مع ذلك، بإمكاني أن أناقش الطّريقة الّتي تلحّ بها على الطّبيعة البرجوازيّة الصغيرة لشخصيّتي. إنّ الرّجل الصارم الّذي تتحدّث عنهُ أكثر تعقيدًا ممّا تخيّلت. ومن الأشياء الّتي لا تتناسب مع الوصف الّذي قدّمتهُ هو أنّني، مثل أيّ شخص آخر، تألّمتُ وتعبت، كما أنّني كنتُ مدخّنًا شغوفًا (ومازلت أرغب في أن أكون كذلك) يترُك للسيغار أكبر مجال ممكن ليتملّك ذاتهُ ويلهب حماسهُ للعمل، وأنّني على الرّغم من بساطتي الّتي لا يكفّ النّاس عن مدحها، فقد ضحّيت كثيرا من أجل القطع الأثريّة اليونانيّة والرومانيّة والمصريّة الّتي جمعتها، وأنّ ما قرأتهُ عن الأركيولوجيا في نهاية الأمر أكثر ممّا قرأتهُ عن علم النّفس، وأنّني كنت قبل الحرب وبعدها أزور روما مرّة في العام على الأقل لقضاء بعض الأيام أو بعض الأسابيع... إلخ. أعرفُ في فنّ المنمنمات أنّ حجمها الصّغير قد يجبر الفنّان على إهمال بعض التفاصيل، لكنّ ذلك يمكن أن يوصله بسهولة إلى صورة خاطئة.

ربّما لا أجانب الصّواب إذا افترضتُ أنّ كتابات التحليل النفسيّ كانت مجهولة بالنسبة إليك قبل كتابة هذا الكتاب. وحقيقة أنّك تمكّنت من استيعاب النصيب الأكبر منها أمرٌ لا يستحقّ إلّا المزيد من الإعجاب. مع ذلك، بقي أمران يمكن نقدك فيهما. الأوّل أنّك لم تتحدّث مطلقًا عن مسألة التداعي الحرّ الّتي يعتبرها الكثيرون الفكرة

البديعة الأهمّ الّتي جاء بها التحليل النفسيّ والمفتاح المنهجيّ لكلّ نتائج هذا التحليل؛ وجعلتني أصلُ إلى فهم الأحلام من خلال أحلام الطفولة، وهذا غير دقيق تاريخيًّا ولم يُذكَر في المواضع الّتي وجدتهُ فيها إلا لأسباب تعليميّة. وأمّا الأمر الثاني فمتعلّق بسؤالك الأخير عن إمكانيّة أن يمارس عامّة النّاس التحليل النفسيّ، وأظنّ أنّ مردّ هذا السؤال هو الافتقار إلى عرفة دقيقة بتقنيات هذا العلم. إذا رجعنا إلى كتب الفيزيولوجيا المعاصرة للفترة الّتي تمّ فيها اختراع المجهر ليصبح أداة جديدة في يد الطبيب، يمكن أن نرى عدد الجامعات القليلة الّتي كان يتوجّب عليها أن توفّر هذه الآلة. وسيحدث الأمر نفسه لاحقا مع الجرّاحين ومتطلّبات عملهم الدّقيقة. أمّا اليوم، فكلّ طالب يتعلّم استخدام المجهر وأفضل الجرّاحين خرّيجوا المدراس والجامعات. وإذا لم ينجح الجميع في أن يكونوا جيّدين في الجراحة، لا يعني ذلك إمكانية الاستغناء عن هذا الاختصاص.

آملا أن ترافقك تحيّاتي الوديّة في عطلتك

فرويد

نتيب، الريفيرا الفرنسيّة،

فندق الكاب، 20 فيفري 1931

أستاذي العزيز،

أشكرك بصدق على ردّك وعلى وعيك الدقيق بالصعوبة الكامنة في وصف منجز فكريّ في قيد التشكّل وتناول تأثيره الّذي مايزال بعيدًا عن أيّ تحديد نهائيّ. ليس في متناولي أن أدرس على نحو نقديّ المنهجَ أو البنية أو النّظام في أعمالك، فليست لديّ الخبرة ولا الجرأة اللّازمة لذلك. إنّ كلّ ما حاولت القيام به هو تحديد أهميّة الحدث الفكريّ الّذي تمثّلونه والطابع الفريد والاستثنائيّ لشخصيّتك إلى جانب نظرة كليّة في أعمالك. أقولُ حاولتُ لأنّ مناقشة شاملة لكلّ هذا تتطلّب كتابيْن، ولم ينتج عن كلّ ما حبّرتُهُ إلّا كتابا واحدا.

أرجو أيضا أن لا يذهب في ظنّك أنّني قصدت التجرّؤ أو الحكم المسبّق عليكَ عندما تحدّثت في بعض المواضع عن صرامتك أو نظرتك الخارجيّة إلى الأشياء. كلّ ما في الأمر أنّها لعبة أردتُ من خلالها تجاوز بعض التحفّظات واستبدالها بشيء من العموميّات، لكنّ أساس ذكر هذه الأشياء هو أنّهُ بدا لي مهمّا، من حيث النجاعة على الأقل، أن أموقع الرّمزَ فوق كلّ معاصريه مبرزًا في الوقت نفسه أنّ العمل ليس مجرّد دراسة (مصرّح بها). من ناحية أخرى، لا بدّ وأنّكَ لاحظتَ أنّني لا أذكر أيّا من الأسماء الّتي يمكن أن ترتبط بسهولة باسمك، لأنّه لا أحد منها يصل إلى مستوى من الرفعة أو الأهميّة

في عصرنا حتّى يكون مرئيًّا إلى جانب أعمالك. نيتشه هو الاسم الوحيد الّذي ذكرتُه في هذا السياق. لأنّ ما أردتهُ فعلا هو أن أبيّن مستوى أعمالك لا تفاصيلها وأن أموقعها في المكان الّذي تستحقّه في التّاريخ. أنا على يقين أكثر من أيّ أحد آخر أنّه مايزال الكثير ممّا يمكن قوله بل إنّ الملاحظات الّتي كتبتها ولم أستخدمها في الكتاب تملأ ستّة دفاتر كاملة. ولكن كان من الضروريّ أن أعمد إلى التكثيف، وبالتالي، وأعترف بذلك، كان من الضروريّ أيضا أن أمارس نوعًا من الوحشيّة على طريقة بروكوست(٧٠). وبصرف النظر عن النّجاح الّذي أتمنّاه للكتاب وأملي في أن يؤثّر بشكل حاسم في النضال من أجل حصولك على جائزة نوبل من خلال النجاح أخيرًا في وضع شيء مُنصف بين أيدي سادة الأدب هؤلاء فإنّ الشيء الوحيد الّذي أريده من كتابي هو أن يغذّي في أولئك الّذين يشعرون بنوع من التحفّظ إزاء أفكارك شيئا من التقدير لهذه الأفكار في كليّتها. ولأنّ الهمّ الوحيد لهؤلاء هو التفاصيل، قصدتُ أن لا أتطرّق إلى الأمور الجزئيّة. أمّا بالنسبة إلى الهفوات الّتي تمسّ من شخصيّتك فيمكن إصلاحها قبل الطبعة القادمة وسيتمّ ذلك بعناية(٧١). أرجو أن تغفر لي إهمال التفاصيل،

---

(٧٠)في الميثيولوجيا اليونانيّة نجد في قصّة بروكوست أنّه كان يخطف الأشخاص الّذين يعترضون طريقه ثمّ يأمرهم بالنوم على سريره، فإذا كان طول الضحيّة مطابقا لطول السرير نجت من بطشه، وإذا كانت أقصر من السرير قام بروكوست بشدّ ساقيها حتّى تناسب معه، وإذا كانت أطول يقطع أطرافها حتّى يلائم طولها طولَ سريره. وارتبط لفظ البروكوستيّة بأيّ نزوع نحو فرض قوالب جاهزة على الأشياء أو تطويعها قسرًا حتّى تتناسب مع رؤية محدّدة مسبقا.

(٧١) لم يتمّ إجراء أيّ تغييرات على الطبعات الموالية.

وتأكّد من قلّة أولئك الّذين افتُتنوا مثلي بأعمالك في كليّتها وفهموا على النّحو الّذي فهمت به أهميّتها. إنّني سعيدٌ أنّ بعض معارفي الّذين يهمّني رأيهم يشعرون بأنّني نقلت النقاش حول أعمالك من أسئلة التفاصيل وطابعها الطبّي المحض إلى دائرة علم النّفس، وسواء تعلّق الأمر بالتثمين أو النقد، فإنّ النقاش حول أعمالك وعلى النّحو الّذي نطرحه به اليوم بقيوده المرهقة ومقولاته النقديّة الصّارمة سيتحوّل من الآن فصاعدا إلى مستوى أعلى لن تكون فيه في نفس المستوى مع يونغ أو أدلر أو فينكِن(٧٢) أو آخرون أقلّ أهميّة من هؤلاء. وإذا تمكّنت فعلا من المساعدة في هذا الاتّجاه، سأكون سعيدًا، لأنّني على الرّغم من كلّ هذه النواقص، سأكون قد خدمتُ الحقيقة.

مع تقديري وتحيّاتي لابنتك

ستيفان زفايغ

---

(٧٢) غوستاف فينكن (1875، 1964): بيداغوجيّ ألمانيّ عُرف بأفكاره التعليميّة المتحرّرة.

سالزبورغ

6 ماي 1931

لتتقبّل منّي مع خالص التقدير كلّ التهاني بمناسبة العودة الخامسة والسبعين(٧٣) لليوم الّذي يدين فيه عالمنا لعالم من الأفكار ولأنموذج مثاليّ يُحتذى به في الحياة. مع كلّ الحُبّ والإخلاص.

ستيفان زفايغ

---

(٧٣) نشر زفايغ يوم 6 ماي 1931 مقالا مهدى إلى فرويد بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين في جريدة السترال فيراين ببرلين.

شكرا على لفتتك الكريمة بمناسبة عيد ميلادي الخامس والسبعين. بعد الكثير من علامات الصّداقة.

فرويد، فيينًا، ماي 1931 (٧٤)

(٧٤) نصّ هذه البطاقة مرقون باستثناء جملة بعد الكثير من علامات الصداقة كتبها فرويد بخطّ يده مع إمضائه.



05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

16 جوان 1931

أستاذي العزيز،

باعتبـارك مثقّفًـا تأخـذ مـن كلّ شـيء بطـرف، أرجـو أن لا تكـون نسـخة الكتـاب غيـر التجاريّـة المرفقة(٧٥)بهـذه الرّسـالة غيـر مجدية بالنسبة إليـك، لأنّنـي لـم أهـدِ النسـخ القليلـة الّتـي لـديّ إلّا إلـى دائـرة ضيّقـة مـن الأصدقـاء، وفيـه واحـدة مـن الرّسـائل التّسـع الّتـي كتبهـا مـوزار فـي الواحـدة والعشـرين مـن عمـره، أنشـرُها هنـا كاملـة. إنّ هـذه الرّسـائل تضـيء علـى نحـو مميّـز جوانـب نفسـيّة كثيـرة مـن حياتـه الشـبقيّة الّتـي كان فيهـا طفوليّـا وشـغوفا بالبـذاءة أكثـر مـن أيّ رجـل عظيـم آخـر. وفـي حقيقـة الأمـر، سـتجدُ هنـا دراسـة مهمّـة لواحـد مـن تلاميـذك، لأنّ جميـع الرّسـائل دون اسـتثناء تـدور حـول الموضـوع نفسـه.

وإذ أغتنـم هـذه الفرصـة لأجـدّد لـك حُبّـي، أرجـو لـك أيضًـا موفـور الصّـحة والعطـاء.

صديقك المخلص دوما

ستيفان زفايغ

(٧٥) نسـخة غيـر تجاريّـة بخـطّ مـوزار لواحـدة مـن رسـائله إلـى ابنـة عمّـه فـي آوغسـبورغ. وكان زفايغ يملـك النسـخة الأصليـة لهـذه الرسـائل.

بيرغاسّ[٧٦] 19، فيينًا

25 جوان 1931

صديقي العزيز،

شكرا على النسخة غير التجاريّة ! إنّ حُبّ موزار للأصوات الأجراس البغيّة وصقله لها في داخله، بدا لي، ولا أعرف أين قرأتُ ذلك، معروفًا. ليس لي ما أقول حيال التحليل الّذي قمت به، لكنّني لاحظتُ من خلال تحليل تجارب العديد من الموسيقيّين اهتماما خاصًّا يعود إلى طفولاتهم بالأصوات الّتي تصدرها الأمعاء. وهنا أتساءل: هل هذا فقط أحد جوانب اهتمامهم العام بعالم الأصوات أم أنّهُ يجب علينا التفكير في ارتباط موهبتهم في الموسيقى (المجهولة بالنسبة إلينا) بعنصر جنسيّ شرجيّ؟ سأترك هذا السؤال معلّقًا.

تحيّاتي الوديّة

فرويد

---

(٧٦) على الرّغم من تنصيصه على هذا العنوان، كتب فرويد هذه الرّسالة من مقرّ إقامته الصيفيّ في بوتزلاينزدورف، إذ تعوّد في سنواته الأخيرة في النّمسا على قضاء عطلته الصيفيّة في التّخوم المجاورة للعاصمة.



بيرغاسّ 19، فيينًا

8 نوفمبر 1931

صديقي العزيز،

إنّ خمسينيّة(٧٧)أحد مًا لا تستهويني أبدًا، بل إنّني بالنظر إلى تجربتي الخاصّة مع حفلات أعياد الميلاد، أكرهها بشدّة. وعلى هذا الأساس، إذا كتبتُ إليكَ اليوم على الرّغم من كلّ شيء بمناسبة عيد ميلادك الخمسين، فإن ذلك نابع من رغبة تنامت في داخلي بمرور الوقت ولن أكون راضيا عن نفسي دون تحقيقها، وإذا لم أفعل هذا الآن، ربّما سأنتظر طويلا فرصة أخرى قد لا أجدها بحكم عمري(٧٨)أبدًا. إنّها رغبتي في أن أقول لك شيئا لطيفًا ودودًا دون أن أصدع رأسكَ - كما أفعل دائما بالانتقادات كما لو كنتُ أرستقراطيًّا لا يرضى أبدًا عن وجهه في لوحة رسّام. أريد إذن أن أعبّر لك عن كمّ المتعة الّتي أجدها في إبداعاتك المفضّلة لديّ وخاصّة جيريمي(٧٩)وفوضى الأحاسيس(٨٠)، تلك الارتماءة الجميلة في حياة أولئك الشياطين(٨١)، وعن مدى افتتاني بالفنيّة العالية الّتي تعاشر بها لغتك الأفكار حتّى أنّ الكلمات أشبه بملابس شّفافة فوق تماثيل قديمة، وعن كمّ الفرح الّذي أتابع به جهودك في الحفاظ على الرّغم من كلّ الظروف المضطربة على شهرة عالميّة وتفاعل تحظى به أعمالك من

(٧٧)ولد زفايغ في 28 نوفمبر 1881.

(٧٨)كان فرويد في الخامسة والسبعين من عمره وهو يكتب هذه الرسالة.

(٧٩) قصيدة دراميّة في تسع لوحات نشرها زفايغ في لايبزغ سنة 1917.

(٨٠)انظر رسالة 4 سبتمبر 1926

(٨١)يخلط فرويد هنا بين (فوضى الأحاسيس) والمقالات الّتي جمعها زفايغ في كتاب نزال مع الشيطان، (انظر رسالة 5 نوفمبر 1924).

أهـمّ العقـول وأكثرهـا صلابـة. وعلـى كلّ حـال، المهـمّ عنـدي هـو هـذا الـودُّ الّـذي أريـد أن أشـارك بـه كلّ الّذيـن يقدّمـون إليـك التهانـي بهـذه المناسـبة.

صديقك المخلص

سيغ. فرويد

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

29 نوفمبر 1931

أستاذي الّذي أحترمه كثيرًا،

بقدر ما أشعرتني رسالتك بفرح عارم، فقد شعرتُ بالارتباك وأنا أراك، وأنتَ الّذي لدك الكثير من المسؤوليّات ولكلّ دقيقة أهمّيتها عندكَ، تفكّر بي بكلّ هذا اللّطف. إنّني أعتبر أنّ موهبة حياتي الحقيقيّة (ولا أقصد العمل) تتمثّل في أن أستشعر دومًا القيم الأساسيّة الّتي تعترضني وأن أقاربها في حدود إمكانيّاتي، وقد كان لقائي الفكريّ مع أعمالك جزءًا من تلك الصّدف السعيدة الّتي تحدث للمرء. أنتَ تعرف أنّني لستُ راضيًا تماما عن الدّراسة الّتي كتبتها عنك إلّا بمعنى أنّها ساعدت على أن لا يخرج أيّ تحليل مستقبليّ لأعمالك عن نطاق معيّن من الاحترام، وأنّها فرضت على النّاس أن ينظروا إلى الأعلى وأن لا يكتفوا بنظرة نقديّة واهية. وفي هذا الإطار، أنا سعيد بأنّ دراستي ستنشر في الأسابيع القليلة القادمة في الوقت نفسه بفرنسا وانجلترا والولايات المتّحدة وإيطاليا بعد نرويجيا الّتي كانت أوّل المبادرين بترجمته؛ وستتمّ هذه الأيام أيضا ترجمته إلى الروسيّة[٨٢]

(٨٢) نُشرت ترجمة المقالات المكوّنة لكتاب (شفاء الرّوح) منفصلة.

ربّما سأعود إليها مرّة أخرى وأضيف بعض الأشياء الّتي أصبحت أكثر وضوحا في ذهني؛ لكن ربّما أيضًا يكمن المعنى الأساسيّ للعمل الّذي قمتُ به في قدرته على دفع الآخرين إلى الكتابة والتمهيد لدراسات أخرى، وقد علمتُ أنّهُ بفضل كتابي ثمّة اليوم ثلاث مسرحيّات جديدة عن إيدي باكر، كما شرع كاتبان آخران في العمل على سيرة معمّقة لميسمر. وربّما يدفع عملي شخصًا آخر لتأليف الكتاب الحاسم حول أعمالك، وقد حان الوقت لذلك حقًّا(٨٣)

مع مودّة صديقك المخلص وإعجابه الدّائم

ستيفان زفايغ

(٨٣) كان على القرّاء الانتظار طويلا حتّى تتحقّق هذه الأمنية وتُنشر دراسة ارنست جونز «سيغموند فرويد: حياته وأعماله» في ثلاثة أجزاء عن دار نشر أمريكيّة بين سنتيْ 1953 و1957.

بيرغاسّ 19، فيينّا(84)

2 جوان 1932

صديقي العزيز،

من عاداتي السيئة أنّني بعد إصدار أيّ كتاب أبقى لفترة طويلة غير قادر على العودة إليه ومراجعة محتواه. ويبدو أنّهُ عليّ أن أتأسّف على أنّكَ تفعلُ مثلي، لأنّني أرغبُ في لفت انتباهك مرّة أخرى إلى أحد كتبكَ الّتي خصّصتها لي ولما يقارب الثلث من أعمالي(85) كان أحد أصدقائي هذه الأيّام في البندقيّة ورأى في إحدى المكتبات الترجمة الإيطاليّة لشفاء الرّوح فاقتنى نسخة وأهداها إليّ، فكان ذلك فرصة لإعادة قراءة بعض المقاطع من دراستك. وفي أثناء ذلك، اكتشفتُ في الصّفحة 272 اكتشفتُ خطأ تأويليًا فادحًا لا يمكن تجاهله، بل إنّه إذا سمحت بالتعبير عن هذا النّوع من القلق قد يقلّل في نهاية الأمر من قيمتي. لقد قُلتَ إنّ مريضة بْرويَرْ(86) اعترفت تحت تأثير التنويم المغناطيسيّ بأنّها شعرت وهي تجلس إلى جانب والدها المريض ببعض (المشاعر المحرّمة) (وبالتالي ذات الطبيعة الجنسيّة) وقمعتُها. في الواقع، هي لم تقل شيئا مشابها أبدًا وإنّما

(84) يحافظ فرويد في هذه الرّسالة على العنوان المعتاد، ولكنّهُ أرسلها من بوتزلاينزدروف (انظر رسالة 25 جوان 1931).

(85) إشارة إلى كتاب (شفاء الرّوح) (انظر رسالة 9 ديسمبر 1929).

(86) إشارة إلى الحالة المشهورة لـ الآنسة آنا أو. الّتي قدّمها برويَرْ (1842 - 1925) مع فرويد في كتاب دراسات عن الهستيريا الصادر سنة 1895.

ألمحتْ فقط إلى أنّها أرادت أن تخفي عن والدها المريض حالتها العصبيّة وقلقها الشّديد. ولو كان الأمر كما هو مذكور في نصّك لجرى كلّ شيء على نحو مختلف جدًّا. مع ذلك، وحتّى في تلك الفترة، لم يكن أيّ اكتشاف للجذور الجنسيّة لمرضها ليُفاجئني، فقد واجه برويرْ صعوبة كبيرة في تحديدها وربّما لم أكُن لأتخلّى أبدًا عن التنويم المغناطيسيّ الّذي يمكن من خلاله أن نصل إلى أكثر الاعترافات صدقا. إنّ ما حصل حقًّا مع مريضة بروير لم أتمكّن من فهمه إلّا لاحقًا بعدَ فترة طويلة من انقطاع علاقتنا، عندما تذكّرتُ فجأة معلومة أخبرني بها بروير سابقًا وفي سياق آخر قبل أن نعملَ معًا ولم يُعد ذكرها بعد ذلك أبدًا. في الليلة الّتي ظهرت فيها كلّ أعراض مرضها مجدّدًا، عاودت عائلتها الاتّصال به؛ وعندما ذهب لعيادتها وجدها في حالة من الهذيان تتلوّى بسبب تشجنّجات أسفل بطنها. وعندما سألها ما بها، أجابت: إنّهُ طفلُ الدكتور برويرْ الّذي أنتظرهُ، وها هو يريد أن يخرج من أحشائي. في تلك اللّحظة، أصبحت لديه المفاتيح الّتي كان يمكن أن تفتح له الطريق إلى الأمّهات(٨٧)(Die Mütter)، ولكنّهُ تخلّى عن ذلك. وبغضّ النظر عن إمكانيّاته الفكريّة الكبيرة، لم يكن في شخصيّته أيّ بُعد فاوستيّ(٨٨). وإذْ أصابه الرّعب الّذي يصيب المحافظين في مثل هذه المواقف، فرّ تاركًا المريضة لزميل آخر ليتابع نضالها من أجل الشّفاء في إحدى المصحّات. لقد كنتُ واثقًا من هذه المراجعة الّتي أتذكّر أنّها نُشرت في مكان مّا. وقد قرأت الابنة الصّغرى لبروير(٨٩) المولودة بعد فترة قصيرة من اهتمامه بالحالة المذكورة، وهو أمر لا

(٨٧) إشارة إلى الجزء الثاني من مسرحيّة فاوست لغوته، حيثُ كانت هذه العبارة المفتاح الذي فتح به فاوست أبواب مملكة الظّلال حيث تقيم الأمّهات. ولذلك دلالة رمزيّة اعتمدها عديد علماء النّفس للإشارة إلى دور الأمّ والأمومة في تشكيل الحياة النفسيّة للطفل، وبالتالي في تفسير حياته النفسيّة اللاحقة.

(٨٨) فاوست هو أحد الشخصيّات البارزة في الحكاية الشعبيّة الألمانيّة. وتدور قصّته حول سعيه إلى اكتشاف الجوهر الحقيقي للحياة، وهو ما يقوده إلى إبرام اتفاق مع الشيطان يسلّم إليه بمقتضاه روحه مقابل الحصول على المعرفة المطلقة وكافة الملذّات الدنيويّة.

(٨٩) حنّا بروير.

يمكن أن يخلو من دلالات أعمق !) التفسير الّذي قمتُ به وسألت والدها (كان ذلك قبل وفاته بقليل) فدعّم وجهة النظر الّتي ذهبتُ إليها وقد أعلمتني بذلك في مناسبة لاحقة.

مع إخلاصي وودّي

فرويد

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

2 جوان 1932

أستاذي العزيز جدًا،

أشكرك كثيرا على رسالتك الكريمة(٩٠). لقد خانت الترجمة الإيطاليّة المعنى الدقيق لهذا المقطع، لكنّني أريد في أقرب وقت، وحتّى في الطبعات الألمانيّة القادمة، أن أطوّره وأجعله أكثر وضوحًا. وعلى كلّ حال، لا أحد يعرف أكثر منّي إلى أيّ مدى لم يكن تحليلي كاملا. لقد أجبرني تناول الخطوط العريضة في أعمالكم على تجاوز العديد من الجوانب التفصيليّة الّتي توسّعت في تحليلها في مسوّداتي دون أن يكون لها صدى واضحا في التحرير النهائيّ. مع ذلك، أعتبر أنّ الكتاب الحقيقيّ حول أعمالك لم يُكتب بعد، ولستُ في الحقيقة سوى تلميذ بسيط لأفعل شيئا مثل هذا. لكن على الأقل، كان للدراسة الّتي قمتُ بها أثرًا في خلق شيء من الاهتمام والاحترام الّذيْن يبقيان للأسف أقلّ ممّا ينبغي. لقد كان ذلك واضحًا خصوصًا في فرنسا أين وصل الكتاب إلى طبعته الثلاثين في وقت قصير جدًّا، ناهيكَ عن الانتشار الواسع الّذي حقّقته مختلف الترجمات الانجليزيّة والأسبانيّة والإيطاليّة والسويديّة والنرويجيّة الّتي ستلحقها في الأيام القليلة القادمة ترجمة للبولونيّة والهولنديّة، وغيرهما.

---

(٩٠)حسب تاريخ الرسالة السابقة، نرجّح أن يكون أحدهما قد أخطأ في كتابة تاريخ رسالته.

وعلى هذا النحو، لنقل إنّ جهودي المتواضعة قد وسّعت من دائرة الاهتمام، وأمّا المواضع الّتي لم يكف فيها تحليلي كافيًا، فثمّة اليوم مَن ينكبّ على البحث في النصوص والنظر في المصادر الرئيسيّة كما هي.

إنّ الخطّ الّذي كتبت به الرّسالة يطمئنني (وأنا الّذي لا أثق كثيرا في العادة في علوم الخطّ) إلى حدّ كبير، وأرجو أن يكون علامة على أنّكَ في صحّة جيّدة. وأمّا بالنسبة إلى حيويّتك الذهنيّة فلا أقلق عليها أبدًا. وقد تثبت لنا هذا قريبا بكتاب جديد !

مع حبّ صديقك المخلص دائما

ستيفان زفايغ

بيرغاسّ 19، فيينًا

20 أكتوبر 1932

صديقي العزيز،

بفضل كرمك، لقد قرأت إلى حدّ الآن كلّ كتبك تقريبًا، وقد كانت تصويرًا رائعًا لحيوات النّاس وأقدارهم. غير أنّني أريد أن أقول إنّه من بين أعمالك كلّها لم أجد كتابا أكثر إقناعا وعمقًا على المستوى الإنسانيّ من كتابك عن ماري أنطوانيت(٩١). وربّما كان ذلك لاتّساق ما كتبته مع الحقيقة التاريخيّة الّتي يصعب تقبّلها ولكن لا يمكن الاستغناء عنها والمتعلّقة بالحياة البائسة الّتي عاشتها هذه المرأة الّتي وُلِدَت صغيرة، كما قُلتَ، وجعلتها مطرقة القدر القاسية كبيرة. إلى جانب ذلك، كانت لغتك في هذا الكتاب ناضجة ومتحرّرة من كلّ أنواع الحماس أو التعاطف، ولم يكن الاقتصار على تناول العناصر الضروريّة الأهمّ من تجربتها إلّا ليدفعني إلى الإقرار بأنّني أمام معلّم حقيقيّ في الكتابة. وبطبيعة الحال، فقد أثار القسم الّذي قمت فيه بعمل المحلّل النفسيّ اهتماما أكبر لديّ، خاصّة في الجزء الّذي تناولت فيه قصّة زواج الأم، وقد حدث ذلك فعلا على النحو الّذي رويتهُ به. لقد أصبحت الحياة البشريّة أكثر قابليّة للفهم منذ صار الاهتمام بهذه الجوانب من الإنسان مُمكنًا.

---

(٩١) كتاب (ماري أنطوانيت)، نُشر في لايبزغ سنة 1932. وفي نسخة فرويد في مكتبته في لندن نجد الإهداء التالي: إلى الأستاذ سيغموند فرويد الّذي علّمنا فهم الإنسانيّ فينا، مع الشكر والإخلاص، ستيفان زفايغ، 1932

وأمّا بالنسبة إلى أليكساندر صربيا، فقد وصلت بدقّة إلى جمع العناصر الّتي قد يزعج تشظّيها عقل المؤرّخ وخلق الخيط النّاظم الّذي يربط أصغر الوقائع الّتي لا يمكن رؤيتها بأكبر الوقائع الّتي لا يمكن تجاهلها، على نحو جعل كلّ الأحداث أقلّ صخبًا وأكثر وضوحًا.

هل تعرف أنّ التحليل الّذي قمت به لاتّهام وليّ العهد وهو طفل أمّه (وخالته) بخيانته منطقيٌّ جدًّا؟ وحتّى اليوم، كلّ العصابيّين الّذين ندرس حالاتهم يفعلون هذا. إنّهم يبنون بعد تجربة الاستمناء متخيّلا جنسيًّا إغوائيًّا، وبشغف حقيقيّ، يقع الاختيار على الأشخاص الّذين عاقبوهم أو وبّخوهم بسبب تجربتهم لهذه المتعة المحرّمة، ليكونوا مواضيع رغبتهم. ومع ذلك، فإنّه ثمّة شيء من الحقيقة وراء هذه الخيالات، لأنّ الدّافع الأوّل للإثارة الجنسيّة لدى الطفل يكون أثناء لمس أعضائه التناسليّة أثناء غسله وتنظيفه، وغالبا ما تختلط في ذهنه لاحقًا شخصيّة المرضعة بشخصيّة الأم إذا لم تكن الأمّ هي مَن اهتمّت به في هذه الفترة بنفسها. غير أنّ مرضانا لا يكشفون لنا عن هذه الخيالات الّتي تظلّ في لاوعيهم إلّا تحت تأثير التنويم في حصص العلاج. ولا بدّ من وجود خلل في البناء النفسيّ عندما تصبح هذه الخيالات واعية وفي شكل اتّهامات حقيقيّة مباشرة. وبالنسبة إلى وليّ العهد، نعم، أعتقد أنّ البيئة المهينة والمعادية لأمّه قد ساهمت في تشكيل حياته النفسيّة، ولكن، قبل هذا، لم يستطع هذا الميلُ إلى التخيّل الجنسيّ أن لا يتوجّه إلى الأمّ.

مع تحيّاتي الوديّة

فرويد

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

21 أكتوبر 1932

أستاذي العزيز جدّا،

اِسمَح لي أوّلا أن أشكرك على كرمك الاستثنائيّ. إنّني أعرف معنى أن يخصّص رجل في قيمتك وشواغلك وقتًا لكتاب مّا. إنّ تأثير أفكارك وأعمالك مبثوث في كلّ ما أكتبه، وإذا تحلّيت بشيء من الشجاعة لقلتُ إنّ جوهر كلّ الكتب الّتي نشرتها مرتبط بك. لقد كُنتَ ومازلتَ مرجعًا بالنّسبة إلى جيل كامل.

وفيما يتعلّق بوليّ العهد، فقد كانت لديّ موادّ أخرى اشتغلتُ عليها ولم أنشرها في الكتاب لأنّها بدت لي ذات طابع أكثر عنفًا، ومن بينها جملة قالها أمام شهود موثوقين: متى سنُعدم هؤلاء القِحاب الجليلات ونرتاح؟، ويبدو أنّهُ سمعَ هذا ووجدهُ مسليًا (وربّما بسبب كراهيّته الدفينة)، فأعاد قوله.

ثمّة طبيب فرنسيّ، اسمهُ الدكتور كاتاني، قام بتجميع الكثير من المواد المتعلّقة بهذه المواضيع في كاتبيْ كشف خبايا التاريخ والكلمات الملغزة وغيرهما، وقد تناول فيهما تاريخ الجنسانيّة من وجهة نظر طبّية دون أن تكون له للأسف أيّ فكرة عن التحليل النفسي، وهو ما يجعل من كتبه كنوزًا غير مُستغلّة إلى اليوم. وربّما سيكون من المفيد أن تلفت انتباه أحد تلامذتك إلى هذه الكتب للاستفادة من هذه الوجبة المعرفيّة الشهيّة الّتي تقدّمها، خاصّة وأنّني مدين لهذا الطّبيب بالإشارات الأوليّة والحاسمة حول ماري أنطوانيت الّتي تناول حياتها بدقّة دون أن يتمكّن من توظيف رؤية تحليلية نفسيّة. إنّهُ يمتلك

من الحدس والنباهة ما يمكّنهُ من معرفة الأشياء الأهمّ في الظواهر التي تناولها، ولكنّه لا يعرف للأسف كيفيّة تحليلها لأنّهُ يفتقر إلى معرفة منهجكَ، وهذا ما جعل من كتابه مجرّد تعداد لهذه الظواهر. ولكن، يظلّ عملهُ بأجزائه الصغيرة العشرين منجمًا معرفيًا حقيقيًا للباحث المتسلّح بالمنهج.

اِسمح لي الآن أستاذي العزيز والموقّر أن أعبّر لك مرّة أخرى على أملي في أن تكون في صحّة جيّدة وفي أن تدوم لنا حيويّتك الجسديّة الفذّة وفضولك الإبداعيّ الّذي لا يقارن طويلا. إنّ عصرًا خاليًا من الفكر مثل عصرنا يحتاج إلى بوصلة معرفيّة مثلك، وما أقلّ أولئك الّذين نتعلّم منهم ونمشي على خطاهم.

مع تقديري الكبير

صديقك المخلص دائما

ستيفان زفايغ

05، كابوزينربرغ، سالزبورغ

30 ديسمبر 1932

أستاذي العزيز جدّا،

هـا أنـا قبـل اليـوم الأخيـر مـن العـام، أقـرأ محاضراتـك الرّائعـة(٩٢) بابتهـاج معرفـيّ حقيقـيّ. وحتّـى علـى المسـتوى الأدبـيّ، ثمّـة أشـياء كثيـرة لنتعلّمهـا مـن نثـرك الّـذي يقـدّمُ الأفـكار ويكثّفهـا بدقّـة اسـتثنائيّة. ويبـدو لـي صفـاؤك الذهنـيّ أمـرًا يـكاد لا يُصـدّق مقارنـة بمـن بلغـوا مـن الكبـر عتيًّـا(٩٣). لـن أثقـل كاهلـك كثيـرا بالحديـث عـن التفاصيـل الآن، لكنّنـي لا أريـد أن ينتهـي العـام دون أن أرجـو لـك ولـكلّ محبّيـك وللعالـم بأسـره، أن تنعـم فـي هـذا العـام الجديـد بصحّـة جيّـدة وبحمـاس متجـدّد فـي العمـل الّـذي أرجـو أن تعيـش مبتهجًـا بجنـي ثمـاره.

مع خالص الحبّ

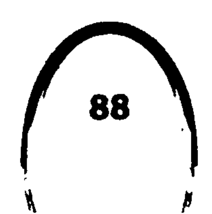
صديقك المخلص دائما

ستيفان زفايغ

---

(٩٢) فـي نهايـة سـنة 1932 صـدرت سلسـلة جديـدة مـن (محاضـرات فـي التحليـل النفسـيّ) لفرويـد، وكان هـذا العنـوان رمزيًّـا لأنّ فرويـد وقتهـا كان قـد تـرك التدريـس فـي الجامعـة منـذ وقـت طويـل.

(٩٣)كان فرويد وقتها في السادسة والسبعين من عمره.



سالزبورغ، جوان 1933

أستاذي العزيز جدًا،

أنت تعرف جيّدًا (إلى جانب إجلالي الكبير لك) مدى احترامي لوقتك، مثلما تعرف أنّني لا أجرؤ على أن أقدّم لك أيّ شخص بمجرّد أن يعبّر عن فضوله في التعرّف إليك. لكن، عندما يعبّر الانجليزيّ العظيم ه. ج. ويلز عن عدم رغبته في زيارة أحدٍ غيرك أثناء فترة إقامته السرّيّة في فيينّا، أعتقد أنّهُ بإمكاني القول إنّ هذه الزيارة لن تكون إلّا مدعاة للابتهاج بالنسبة إليك. فهل سيكون ممكنا أن تتكرّم وتخبره بالوقت الّذي يمكنه زيارتك فيه[٩٥]؟

مع مودّتي وتقديري الكبير

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(٩٤) هربرت جورج ويلز (1866، 1946): كاتب بريطانيّ معروف. ومن خلال رسائل ستيفان زفايغ مع زوجته فريدريكا، يبدو أنّ ويلز كان في سالزبورغ في هذه الفترة، ففي يوم غير محدّد من شهر جوان، كتب زفايغ إلى زوجته يقول: يؤسفني غيابك، لقد زارني ه. ج. ويلز صحبة البارونة بودبرغ (سكرتيرة ماكسيم غوركي السابقة) هذا اليوم، وقد تحدّثنا كثيرا.

(٩٥) لا نعرف إذا تمّت هذه الزيارة أم لا، غير أنّ جونز (انظر رسالة 29 نوفمبر 1931) يشير إلى عام 1931 تاريخًا للقاء فرويد مع ويلز. (سكرتيرة ماكسيم غوركي السابقة) هذا اليوم، وقد تحدّثنا كثيرا.

فيينّا، فندق ريجينا

13 سبتمبر 1935 / الهاتف (-23 5 ،85)

أستاذي العزيز جدًّا،

لقد حاولت الاتصال بك اليوم في غريزينغ بعد أن تكرّم الدكتور كريس بإعطائي رقم هاتفك. لقد أردت أن أوضّح لك سوء التفاهم الّذي حصل، لأنّ هذا مهمّ جدًّا بالنسبة إليّ. عندما جئت في الرّبيع الفارط وقضيّتُ شهرًا ونصفًا هنا، أخبرني أحدهم منذ اليوم الثاني أنّك لا تتلقّى الزيارات. ولم يكن لي بطبيعة الحال أن أتجرّأ على القدوم إليكَ وإزعاجكَ في عزلتك. أمّا الآن، فقد أخبرني الدكتور كريس، ويا لسعادتي بهذا، أنّك بخير مجدّدًا وأنّ حماسك للعمل متّقد أكثر منّا جميعا. لذلك، أردت فقط أن أقول لك إلى أيّ مدى أنا سعيد بمعرفة هذا الأمر. وربّما أتيحت لي الفرصة لزيارتك في الأيّام القليلة الّتي سأبقاها هنا !

مع خالص الحبّ

صديقك المخلص

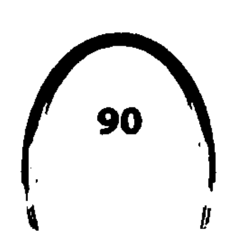
ستيفان زفايغ

---

(٩٥) في بداية سبتمبر 1935 ذهب زفايغ إلي فيينّا لزيارة أمّه وترتيب بعض الأمور مع ناشره هربرت رايشنر. وظلّ مقيمًا في هذه الفترة في فندق ريجينا.

(٩٦)انتقل فرويد في هذه الفترة إلى إقامته الصيفيّة في غريزينغ، شتراسيرغاس، 47.

(٩٧)إرنست كريس (1900 ، 1956): تلميذ فرويد وصديقه.



11 ، ساحة بورتلاند، لندن(٩٩)

أكتوبر- نوفمبر 1935

أستاذي العزيز جدًّا،

بمناسبة صدور سيرتك الذاتية(١٠٠) في انجلترا، وعدتُ بكتابة مقال عنها في الـ سان دايْ تايمز(١٠١)، وها هو يُنشر للأسف في ترجمة رديئة جدّا وقد حُذفت منه الكثير من المقاطع (في آخر المقال خاصّة) وأضيفت إليه عديد العناوين الفرعيّة. لكن، أعرف أنّك ستتفهّم أنّ ما يعنيني فقط هو أن يحظى عملك بالاستحسان والاحترام الّذيْن يستحقّهما في الصحيفة الأكثر انتشارا في انجلترا.

إنّه مجرّد تكتيك إشهاريّ ولن تقيّمه بكلّ تأكيد من حيث قيمته الأدبيّة. إنّني بكلّ بساطة أستمتع دومًا بأيّ فرصة تتاح لي للتعبير عن إعجابي بك. مع أطيب الأمنيات وخالص الحبّ

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(٩٩) مستشعرًا الخطر النازيّ ومتوقّعًا له مستقبلا سياسيًّا كبيرا في النّمسا وألمانيا، استأجر زفايغ سنة 1933 شقّة في لندن بعنوان 11 ، ساحة بورتلاند أين سيظل إلى حدود 6 مارس 1936 ، التاريخ الذي سيتقل فيه إلى شقّة جديدة بعنوان 49، شارع هالام.

(١٠٠) فرويد بنفسه (Selbstdarstellung)، لايبزغ، 1929 . وصدرت ترجمتها الانجليزيّة مع تعديلات أجراها فرويد بنفسه بطلب من دار نورتون الأمريكيّة للنشر سنة 1935 .

(١٠١)سيكون هذا المقال الّذي نره زفايغ في الـ سان داي تايمز سببًا في سوء تفاهم آخر. يقول ارنست جونز في السيرة التي كتبها عن فرويد: حاولت ماري بونابارت عبثا، في زيارة لها لستوكهولم، أن تقنع بعض المعنيين بإسناد جائزة نوبل إلى فرويد، وفي رحلة عودتها، أقنعت توماس مان ورومان رولان بهذا الأمر. غير أن فرويد لامها على إضاعة وقتها من أجل أمر ميئوس مثل هذا. وبعد أشهر من

ذلك، تسبّبت فقرة غامضة حول الموضوع نفسه من مقال لستيفان زفايغ في غضب فرويد غضبًا كبيرا.

بيرغاسّ 19، فيينّا
5 نوفمبر 1935

صديقي العزيز والمحترم،

أشكرك على رسالتك وعلى المقال المقتطف من السان داي تايمز(١٠٢). كان مقالك تعبيرًا لطيفًا عن مشاعر الصّداقة الّتي بيننا، وبغضّ النظر عن مضامينه، يمكن للمرء أن يبتهج به لمجرّد أنّك كاتبه. غير أنّني تفاجأتُ كثيرًا حقًّا عندما قرأتُ أنّهُ تمّ، وبناء على اقتراح من جامعة فيينّا، إسنادي جائزة نوبل هذه. ربّما يكون هذا الخبر أحد التشويهات الصحافيّة الّتي تذمّرت منها في رسالتك، أو ربّما تكون واحدة من تكتيكاتك الإشهاريّة أيضا؛ وفي هذه الحالة لن يكون لها أيّ تأثير على أصحاب القرار. كان عليّ أن أخبرك بكمّ العراقيل الّتي واجهتني وعدد الأصوات الّتي عارضت منحي جائزة غوته لمدينة فرانكفورت سنة 1930(١٠٣).

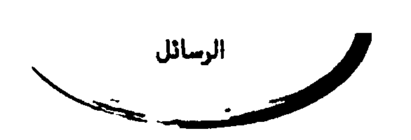
بعد زيارتك لي في الخامس عشر من سبتمبر الفارط، لمتُ نفسي كثيرا على إطلاعك بكلّ تفاصيل موسى بدل تركك تتحدّث عن أعمالك وعمّا تنوي فعله. إنّ موسى(١٠٤) لن يرى النور أبدًا.

---

(١٠٢) انظر الرسالة السابقة.

(١٠٣) لم يتمكّن ألفونس باكي من الوصول إلى إسناد جائزة غوته إلى فرويد إلّا بصعوبة كبيرة وبعد صراع طويل مع لجنة التحكيم حسمهُ تدخّل ألفريد دوبلن لصالح فرويد.

(١٠٤) إشارة إلى كتاب الإنسان موسى والدّين التوحيديّ، نُشر كاملا أوّل مرّة في أمستردام سنة 1939، وكُتبت فصوله بين 1934 و1938. غير أنّ فرويد أعدّ مسوّدة الكتاب منذ صائفة 1934 واختار له في البداية عنوان الإنسان موسى، رواية تاريخيّة دون أن يدفع به إلى النشر لاعتبارات سياسيّة بعد صعود النازيّة في ألمانيا، إذ يبدأ الكتاب بهذه الجملة: لا يمكن للمرء أن يعتبر تجريد شعب مّا من الرّجل الّذي يعتبره أعظمَ أبنائه وأكبر رموزه أمرًا هيّنًا ولا بسيطًا، خاصّة إذا كان منتميًا إلى هذا الشّعب. ومن الواضح أن فرويد نادم على إخبار زفايغ بأمر هذا الكتاب خوفًا من أيّ حماقة أخرى قد يرتكبها.



مع خالص الشكر والتحايا

فرويد

ملاحظة: لقد نسيت بهذه المناسبة أن أسألك عمّا إذا كنت مهتمّا بإشكاليّة شايكسبير أكسفورد. إنّني على يقين شبه نهائيّ بأنّ إدوارد دي فير، إيرل(١٠٥) أكسفورد السابع عشر كان هو شايكسبير الحقيقيّ(١٠٦). لقد كانت زيارتك الأخيرة للأسف قصيرة للغاية.

---

(١٠٥)إيرل أوكسفورد: أحد أهمّ وأقدم ألقاب النبلاء في انجلترا، وقد كان لسنوات طويلة حكرا على عائلة دي فير، وسيتوقّف استعماله سنة 1703 مع وفاة الإيرل العشرين.

(١٠٦)إدوارد دي فير (1550 – 1604): الإيرل السابع عشر، ويعتبره بعض الدّارسين المرشّح الأكثر شهرة (بعد شايكسبير دي ستاتفورد) ليكون المؤلّف الحقيقيّ لأعمال ويليام شايكسبير.

الهاتف: لانغهام 1069

ساحة بورتلاند، لندن

7 نوفمبر 1935

أستاذي العزيز جّدا،

شكرا جزيلا على كلمات الصّداقة هذه. لقد غضبت كثيرا بطبيعة الحال من الترجمة(١٠٧)السيّئة الّتي تحوّلت فيها ملاحظتي المتعلّقة بنقد الوسط الجامعيّ من الإشارة إلى العراقيل الّتي يضعها الجامعيّون كي لا تحصل على جائزة

نوبل إلى الإشادة بـ تدعيمهم لمنحك هذه الجائزة. وقد اتّصل بي ارنست جونز(١٠٨)أيضا بخصوص هذا الموضوع ووضحّتُ لهُ حُسن نيّتي.

لم أتحدّث عن جائزة نوبل إلّا لأنني أريد أن أذكّر بمدى أهميّة أن تتضافر جميع الجهود للوصول إلى هذا الهدف. وأعرف أنّ توماس مان ورولان قد تدخّلا بخصوص هذه القضيّة.

---

(١٠٧)إشارة أخرى إلى المقال الّذي نشره زفايغ في صحيفة السان داي تايمز (انظر رسالة أكتوبر -نوفمبر 1935).

(١٠٨)إرنست جونز (1897 ، 1958): تلميذ فرويد وصديقه وكاتب سيرته (انظر رسالة 29 نوفمبر 1931).

وإنّني متطلّعٌ إلى المجيء إلى فيينّا لفترة قصيرة في ديسمبر ولديّ الكثير من الأشياء الّتي أرغب في محادثتك بخصوصها.

مع خالص المحبّة

صديقك المخلص دومًا

ستيفان زفايغ

لانغهام 3693

49، شارع هالّام، لندن

4 ماي 1936

أستاذي العزيز،

أعـرف أنّـك لا تحـبّ الاحتفـال بعيـد ميـلادك (١٠٩)، لكـنّ أنانيّـة الطبـع البشـريّ، الّـذي تعرفـه جيّـدًا، تجعلـهُ أمـرًا واجبًـا. وإنّـهُ لخطـأ فـادح فـي حقيقـة الأمـر أن نعتبـر عيـد الميـلاد هـذا عيـد ميـلادك وحـدك؛ إنّـه عيدنـا أيضًـا وعيـد كلّ رجـال الفكـر علـى هـذه الأرض. نحـنُ الّذيـن لا نـرى فـي الفوهـرر أيّ مصـدر للبهجـة، سـنكون أكثـر النّـاس نكرانـا للجميـل إذا لـم نفكّـر بحـبّ وامتنـان فـي أولئـك الّذيـن أخـذوا بأيدينـا إلـى معرفـة الـرّوح والعقـل. لذلـك، لا تكـن قاسـيًا هـذا اليـوم أسـتاذي العزيـز ودعنـا نسـعدُ بالاحتفـال بـك مـن أعمـاق قلوبنـا ونُهديـكَ حبّنـا كلّـه.

سـيأتيك تومـاس مـان فـي غضـون يوميْـن بتهنئـة فيهـا الكثيـر مـن التوقيعـات(١١٠) .

---

(١٠٩)عيد ميلاد فرويد الثمانين (06 ماي 1936).

(١١٠)تهنئة بادر زفايغ وتوماس مان وورمان رولان بإعدادها بمناسبة عيد ميلاد فرويد الثمانين.



ولقد شعرنا، نحن الّذين بادرنا بجمع التوقيعات، بكلّ مشاعر السّعادة والرّضا ونحن نرى مدى امتنان هؤلاء الرّجال لأن تتاح لهم فرصة أن يعبّروا لك، ولو من خلال توقيع بسيط، عن حبّهم. نعم، إنّهم يشكروننا على منحهم الفرصة. وسيتمّ إضافة قائمة أخرى من الأسماء لاحقًا لأنّنا صرنا نعيش في شتات مروّع، وكتّابٌ كبارٌ كثيرون مايزالون في الطّريق إلينا، ولن يصلوا إلّا بعد شيء من التأخير. إلى جانب هذا، أرجو أن تقبل بكلّ رحابة صدر كلمة صغيرة كتبتها بنفسي بمناسبة عيد ميلادك، وستُنشر في الصحف الأمريكيّة والفرنسيّة وبعض الأماكن الأخرى. وهي موجّهة إلى دائرة أوسع من القرّاء وهدفها توضيح مكانتك عندنا لكلّ الّذين لم يتمكّنوا من معرفة ذلك بأنفسهم.

أستاذي العزيز الموقّر، ما الّذي عليّ أن أتمنّاه لك في هذا اليوم؟ صحّة جيّدة قبل كلّ شيء، ولكن أيضا الوعي بأنّك أسّست وسط عالم مضطرب ومنهار شيئا مبتدعًا سيبقى، وبأنّك قدّمت بما أنجزته المساعدة لملايين الكائنات البشريّة. ولا أعرف شخصًا يمكن أن يجد ما يستند إليه ليقول هذا الكلام عن نفسه مرتاحًا غيرك.

لذكرى الكثير من الحبّ العميق والإخلاص الدائم

صديقك

ستيفان زفايغ

بيرغاسّ 19، فيينًا

15، شتراسيرغ. 47

18 ماي 1936

صديقي العزيز،

أرجـو أن تعذرنـي علـى عـدم تمكّنـي مـن الـرّد عليـك إلّا اليـوم. هـا هـي الشـيخوخة تحاصرنـي وهـا أنـا فـي تعـب ووهـن مسـتمرّيْن.

قبـل أن أكتـب إليـك، أعـدتُ قـراءة رسـالتك، ولقـد كانـت عفويّـة وعميقـة وحقيقيّـة إلـى درجـة أنّنـي نسـيت أنّ معلّمـا مـن معلّمـي الكتابـة الكبـار هـو الّـذي كتبهـا. وقـد جعلتنـي مقتنعـا بأهميّتـي إلـى أبعـد حـدّ. لكـن، حتّـى إذا اقتنعـتُ بأهميّـة مـا قمـتُ بـه، فمـن الصّعـب علـيّ تصديـق أنّـهُ يمكـن أن يكـون لـه تأثيـر حقيقـيّ فـي المسـتقبل القريـب. وهـو مـا يجعلنـي أرى نفسـي أقـلّ أهميّـة ممّـا تعتقـد. وإنّنـي أفضّـل الاقتصـار علـى الاحتفـاظ بمـا أثـق بـه أكثـر، وأقصـد المشـاعر الرّائعـة الّتـي عبّـرتَ عنهـا والمجهـود الكبيـر الّـذي بذلتـه بمناسـبة عيـد ميـلادي. أمّـا الإعـلان الجميـل الّـذي صغتـهُ رفقـة تومـاس مـان ومحاضـرة مـان فـي فيينّـا(111) فكانـا عزائـي الوحيـد أمـام حقيقـة أنّنـي هرمـتُ إلـى هـذا الحـدّ.

(111)فرويد والمستقبل: محاضرة قدّمها توماس مان في جامعة فيينّا يوم 8 ماي 1936.

صـحيحٌ أنّني كنت سـعيدًا في بيتي ومع زوجتي وأبنائي وخاصّة مع ابنة تلبّي على نحو نادر كلّ احتياجات والدها ، لكنّني لم أعد قادرًا على التأقلم مع بؤس الشيخوخة ومخاوفها أبدًا، وها أنا أنتظر بنفاد صبر موعدي مع العدم. وعلى كلّ حال، أشعر أنّهُ لم يعد بمقدوري إنقاذ أحبّتي من ألم الفراق.

إنّ المكانة الاستثنائيّة الّتي تمنحني إيّاها ستنتهي أيضا. لأنّني أعتقد أنّهُ في معرضك الفنّي الّذي أثثتهُ بفلتات هذا العصر(١١٢)أو متحف الشمع مثلما كنتُ أقول لممازحتك لستُ بكلّ تأكيد الشّخص الأكثر أهميّة، ولكنّني الشخص الوحيد الحيّ، وربّما أنا كذلك بفضلك. وكما هو حال كاتب السيرة، ثمّة لدى المحلّل أيضًا ظواهر كثيرة يمكن أن تُجمع في إطار ما يُسمّى بـ الإسقاط.

مع شكري وودّي

صديقك

سيغ. فرويد

---

(١١٢) آنا فرويد.

لانغهام 3693

49، شارع هالّام، لندن

6 جوان 1936

هـذه البطاقـة ليسـت سـوى شـكر بسـيط علـى رسـالتك الكريمـة[١١٣]، واعتـذارا علـى أن يُرسـل إليـك كتابـي الجديـد مـن النّاشـر مباشـرة. إنّ فيينّـا- فيينّـا- أسـهل بكثيـر مـن -فيينّـا -لنـدن - فيينّـا-. أمّـا محبّتـك فتبقـى فـي القلـب.

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(١١٣) الرسالة السابقة.

فيينَّا 16 أكتوبر 1936

شكرا جزيلا على هاذيْن الكتابيْن الرائعيْن (١١٤)

مودّتي / فرويد

فيينًّا 7 نوفمبر 1937

شكرا على هديّتك الجديدة الرّائعة (١١٥)

فرويد

(١١٤)فرويد والمستقبل: محاضرة قدّمها توماس مان في جامعة فيينًّا يوم 8 ماي 1936.

(١١٥)لا نعرف شيئا عن هذه الهديّة.

لانغهام 3693

49، شارع هالاّم، لندن

15 نوفمبر 1937

أستاذي العزيز الموقّر،

أريد فقط أن أخبرك عن مدى سعادتي لرؤية خطّك[116]، وكمّ المودّة والإخلاص الّذين أكنّهما لك (لقد تحدّثت عنك مطوّلاً مع أرنولد زفايغ[117]). إنّ فرحًا كهذا ثمين جدًّا بالنسبة إليّ في هذه الأيّام. ولا أستطيع أن أقول لك إلى أيّ مدى يؤلمني هذا العصر. لقد وهبني إله لعين القدرة على التنبؤ بالأشياء وقد شعرت بما يحدث الآن ينبض في كلّ خلاياي العصبيّة منذ أربع سنوات[118] يا لهم من سعداء أولئك الّذين يصدّقون (أوهامهم)!

سيصلك في الأيّام القليلة القادمة كتاب (استثنائيّ)، ماغلان[119]؛ لكنّني أعمل الآن على رواية نفسيّة صعبة جدًّا على الرّغم من قصرها، وإلى جانب عزمي على تسميتها (الاغتيال بالرّحمة)[120].

---

(116) من المحتمل أن تكون الرّسالة الّتي يشير إليها زفايغ من رسائل فرويد الّتي لم تصلنا.

(117) كان أرنولد زفايغ من أصدقاء فرويد المقرّبين دون أن تكون علاقته بستيفان زفايغ وطيدة. وفي إحدى جولاته الأوروبيّة أقام في لندن من 6 سبتمبر إلى 13 أكتوبر سنة 1937.

(118) صعود هتلر إلى الحكم في ألمانيا والشروع في الإقصاء الممنهج لليهود من الحياة العامة ومصادرة ممتلاكتهم وتهجيرهم.

(119) نُشرت رواية (ماغلان) في فيينّا ولايبزغ وزيوريخ سنة 1938.

(120) صدرت لاحقا في ستوكهولم وأمستردام سنة 1939 بعنوان (قلبٌ ينفد صبره).

سأحاول من خلالها أن أفسّر أنّ الضعف ونصف الشفقة الّتي لا تؤدّي إلى أكبر التضحيات قاتلان أكثر من العنف نفسه. إنّه عبارة عن عودة إلى عالمك ومحاولة للعلاج عن طريق الكتابة الّتي هي عزائي الوحيد. إنّ الكتاب الّذي ينبغي كتابته حقًّا يجب أن يكون حول مأساة اليهوديّة، لكنّني أخاف حقًّا أن يكون الواقع بعد دفعه إلى أقصاه أكثر تراجيديّة من خيالاتنا الأكثر جنونا. أمّا أنتَ، فلديك ما يعزّيك على الأقل: لقد أنهيتَ عملك الّذي لن يُنسى ولن يُمحى أثره؛ لقد أثبتت على الأقل أنّنا لم نكن بلا فائدة؛ وحتّى إذا لم تُسمع شهادتنا، سنكون قد التزمنا بتقديم أفضل ما لدينا.

عندما أفكّر في فيينّا وتصيبني الكآبة، أفكّر فيك ! وعامًا بعد عام، صرتَ بالنسبة إليّ أنموذجًا في الصلابة والقدرة على التحمّل، على نحو جعلني أشعر - دائما وبامتنان متزايد - أنّني أنتمي إليك.

مع محبّتي وإخلاصي

ستيفان زفايغ

بيرغاسّ 19، فيينَّا
17 نوفمبر 1937

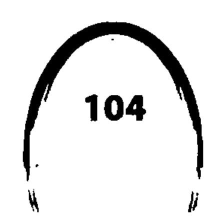
صديقي العزيز،

لا أعرف حقّا ما إذا أبهجتني رسالتك العزيزة أم أحزنتني. إنّني أتألّم لما يحدث مثلك، ومثلك أجدُ عزائي الوحيد في الشعور بالانتماء إلى دائرة ينتمي إليها عدد صغير من النّاس الثّابتين على حبّ الأشياء نفسها والمتمسّكين بالدّفاع عن المبادئ نفسها.

لكن، بإمكاني أن أحسدك، بمحبّة، لأنّك تستطيع الدّفاع عن نفسك من خلال عملك الجديد الّذي أرجو أن يلاقي أكثر ما يمكن من النّجاح ! وفي انتظار ذلك، أنا مستمتع جدّا بقراءة ماغلان.

إنّ عملي ورائي كما قُلتَ. ولا أحد بإمكانه أن يعرف كيف ستقيّمه الأجيال المقبلة. لستُ متأكّدًا من أيّ شيء، وفي كلّ الأحوال، لم يكن الشكّ منفصلا يومًا عن البحث، وليس للمرء في حياته في النّهاية أن يجد سوى قطعة صغيرة من الحقيقة. يبدو المستقبل القريب أسودَ، حتّى بالنسبة إلى التحليل النفسيّ. وفي كلّ الأحوال، لن أشعر في الأسابيع أو الأشهر المتبقية لي بأيّ سعادة.

ها أنا أنجرّ إلى الشكوى بعيدًا عمّا نويتُ كتابته. ما أردتُ قوله هو أنّني أريد أن أكون أكثر قربًا منكَ على المستوى الإنسانيّ، وأنّني لا أريد أن يتمّ الاحتفاء بي مثل صخرة تستمدّ قيمتها من تلاطم الأمواج المستمرّ عليها. لكن، حتّى وإن كان عنادي صامتٌ، فإنّهُ سيظلّ مع



ذلك عنادًا وليتدفّق كلّ خراب العالم فوقه؛ لن يرعبني[١٢١].

آملا أن لا تجعلني أنتظر طويلا كتبك القادمة المليئة بالشجاعة والجمال.

مع تحيّاتي الوديّة

صديقك العتيق

سيغموند فرويد

---

(١٢١) وردت هذه الجملة باللاتينيّة "Si fractus illabatur orbis/ Impavidum Ferient Ruinae" وهي من كتاب الأغاني للشاعر الروماني هوراس (65، 8 قبل الميلاد) وترجمتها: (ليعمّ الطوفانُ العالم، وليتدفّق كلّ خراب العالم فوقه، لن يرعبه).

إيستوريل (البرتغال) لفترة قصيرة[١٢٢]

جانفي / فيفري 1938

أستاذي العزيز،

لقد سعدت بسماع خبر من لندن يقول إنّ موسى[١٢٣] (أو ما أردت قوله للعالم) قد ظهر أخيرًا. سأعود في غضون أربعة أسابيع وسأشكرك عندها كما يجب. الجوّ هنا مُشمس وصافٍ على نحو لا يوصف آه، كم أتمنّى لك نقاهة جنوبيّة مثل هذه !

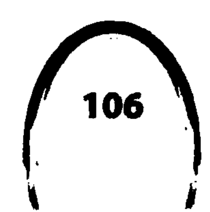
مع محبّتي وإخلاصي

صديقك

ستيفان زفايغ

(١٢٢) سافر زفايغ مع سكريترته (الّتي ستصبح زوجته لاحقا) لوت ألتمان إلى البرتغال في جانفي 1938

(١٢٣). انظر رسالة 5 نوفمبر 1935.



لانغهام 3693

49، شارع هالّام، لندن

2 مارس 1938

أستاذي العزيز،

بعد عودتي من البرتغال، لم أكن مستعجلا على شيء غير قراءة دراستك عن موسى. ولقد أحببتُ بصدق الدقّة الّتي عالجت بها فرضيّات بحثك على نحو ارتقى بها إلى مرتبة الاستنتاجات العلميّة المقنعة. ليس للأفكار موطنٌ محدّد. إنّها تطير في الهواء بين مختلف الشّعوب والأمم، وعلى هذا الأساس، لا وجود لوحي أو إيمان أو دين لا يمزج بين ما يبتكره أصالة وما يعيد استعماله، تماما مثلما لا يوجدُ في الأدب إبداع من الصّفر: إنّ كلّ ما ابتدُعَ موجود مُسبقًا.

ربّما ستواجهك بعض الآراء اليهوديّة القوميّة الحمقاء الّتي ستعتقد أنّك تمسّ من كبريائها ووحدتها عندما تصف اليهوديّة على أنّها دين متعدّد المشارب [التيولوجيّة] وفيه الكثير من الأفكار الّتي لم يبتدعها بنفسه. لكن، وحدها العقول المحدودة هي الّتي يمكن أن تتماهى مع هذا الغرور الجمعيّ. لا يمكن أن نقلّل من قيمة فعل شخص مّا لمجرّد أنّهُ ثمّة شخص آخر قد حلم به قبله؛ وسواء أكان موسى التاريخيّ سليل قبيلة مّا أم سليلة قبيلة أخرى، فإنّ هذا لا يقلّل شيئا من رمزيّة النبيّ الّذي قدّم التوحيد إلى الإنسانيّة باعتباره مشكلا أنطولوجيًّا، ولا من قيمة الشّعب الّذي جعل بلغته وروحه هذه الفكرة مفهومًا ذا قيمة كونيّة.

إنّ هذا العمل الّذي يبدو في نظر النّاس ثانويًّا، مرتبط بالنسبة إليّ ارتباطا جوهريّا بك وبأعمالك كلّها؛ كما أنّهُ إثبات جديد رائع لجسارتك المعرفيّة ومبدئيّتك الإنسانيّة. وسيشكرك الكثيرون من بعدي على أنّك حتّى في الفترات العصيبة الّتي يختبئ فيها أكثر المثقّفين جرأة، تختار أصعب جبهات القتال الفكريّة، وتتجرّأ على تناول أكثر الأشياء اللّامفكّر فيها وأقصد الظّاهرة الدينيّة. يا لك من قدوة ! وأمّا عن نفسي، وحتّى أقول هذا مرّة واحدة وإلى الأبد: صحيحٌ أنّك كنت لنا سندًا حقيقيًّا بمواقفك، ولكن السّند الأعظم الّذي قدّمته إلينا كان عملك الفكريّ؛ وفي اللّحظات الكثيرة الّتي أشعر فيها بالقلق واليأس، أتذكّرك فأشعر بأنّ كل شيء على أحسن ما يُرام.

لقد فكّرتُ بك كثيرا خلال هذه الأيّام الحرجة(١٢٤). صحيحٌ أنّه يمكنني أن أتظاهر بالرّضا وأن أفرح كما لو كنتُ متفوّقًا على الآخرين لأنّني تشجّعت وغادرت المعسكر متحدّيًا كلّ ما قيل عنّي منذ أربع سنوات، لكنّني أتألّمُ الآن كما لو كنت واحدًا من كلّ أولئك الّذين يتملّكهم القلق في فيينًا. يجب أن تنتقل كتبك ودار نشرك إلى هنا. أنت تعرف هذا، وقد قتله مرارا وتكرارا: يجب أن تكون كتبك هنا. يجب أن تكون حاضرة ومتاحة للجميع لأنّها تحمل في طيّاتها المستقبل. أرجو أن تضاهي صحّتك الابتهاج الّذي تجدهُ في العمل؛

مع حبّي الدّائم وإعجابي المتجدّد

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(١٢٤) ستحتلّ القوات النازيّة النمسا بعد عشرة أيّام من هذه الرّسالة في 12 مارس 1938، وستشرع مباشرة في اضطهاد اليهود وتهجيرهم. 1938

لانغهام 3693

49، شارع هالّام، لندن

بداية جوان 1938

أستاذي العزيز والموقّر،

لم أكتب إليك في فيينّا(١٢٥) على الرّغم من إلحاح يدي وقلبي على فعل ذلك، لكنّني كنتُ مشغولا عليكَ بصفة يوميّة؛ وها أنا أتنفّس الصّعداء لأنّكَ في مأمنٍ هنا. وها أنت تبدأ حياة جديدة(١٢٦)

أعرف إلى أيّ مدى ستكون محاصرا هذه الأيّام كما أعرف أنّك تحتاج إلى الكثير من الرّاحة، لذلك لن أتّصل بك إلّا عندما تشير إليّ بذلك (لديّ هاتف غير موجود في دليل الأرقام). أنتَ تعرف جيّدًا إلى أيّ مدى سأكون سعيدًا بزيارتك، وفي أيّ وقت من اليوم، لا لشيء إلّا لرؤيتك تتغلّب على هذه المحنة المريرة.

مع تحيّاتي الوديّة لكلّ العائلة

صديقك المخلص دومًا

ستيفان زفايغ

---

(١٢٥) كان خبر الهجرة السريّة الوشيكة لفرويد إلى انجلترا قد انتشر بين المثقّفين. ويعود تاريخ رسالة زفايغ هذه إلى الأيام الأولى بعد وصول فرويد إلى لندن.

(١٢٦) وردت هذه الجملة باللاتينيّة "incipit vita nova" وهي مقتبسة من كتاب (حياة جديدة)/ Vita Nuova لدانتي أليغري.

39 شارع إلزوورثي، لندن

10 جوان 1938

صديقي العزيز،

يـا لهـا مـن أيّـام متعبـة(١٢٧)! ويـا لـهذا الكـمّ اللّانهائـيّ مـن الرّسـائل الّتـي تصلنـي مليئـة بالـودّ والتحايـا والتهانـي مـن الأصدقـاء والمسـاندين والمعـارف نصفُهـا، ونصفُهـا الآخـر مـن مجهوليـن لا يريـدون شيئا غيـر التعبيـر عـن تعاطفهـم وفرحتهـم ولا يطلبـون شيئا فـي المقابـل ! تنضـاف إلـى ذلـك ضريبـة كلّ هـذا الجنـون: رسـائل وأناجيـل موجّهـة إلـيّ، توقيعـات مطلوبـة فـي أقـرب وقـت، مقابـلات ضروريـة مـع الصّـحافة، مقـالات يُطلـب أن أكتبهـا ويُزعـم أنّهـا مدفوعـة الأجـر، بـل حتّـى بعـض الاستشـارات الطبيّـة مـن هنـا وهنـاك، ولكنّهـا قليلـة جدّا؛ ويبـدو لـي أنّنـي لـن أتمكّـن هنـا مـن توفيـر لقمـة العيـش مـن الطـبّ وحـده.

كانـت رسـالتك الكريمـة مـن أوّل الأشـياء الّتـي وصلتنـي. صحيـحٌ أنّنـي متعـب إلـى أبعـد حـدّ، لكـنّ هـذا التعـب لا يمـسّ إلّا مـن قدرتـي علـى الحركـة أمّـا قلبـي فهـو الّـذي يحتـاج الكثيـر مـن الرّاحـة الآن. إنّ هـذه الرّسـالة هـي الحاديـة عشـرة فـي هـذا اليـوم،

---

(١٢٥)في الثالـث مـن جـوان 1938، غـادر فرويـد وزوجتـه مارتـا وابنتـه آنـا فيينّـا متّجهيـن إلـى باريـس أيـن ركبـوا ليـلا إلـى دوفـر. وفي صباح الخامس مـن جـوان وصلـوا مـن دوفـر إلـى لنـدن ليتّجهـوا مباشـرة إلى شـقّة كان قـد أعدّهـا لهـم ابنهـم ارنسـت فرويـد قبـل ذلـك بأيّـام.

ولا أرى أيّ سبب أحرم به نفسي أكثر من سعادة التفكير في أمر ابتهجتُ به منذ أسابيع في لندن، وأقصد رؤيتك والتحدّث إليك. أنا مُرابط في المنزل كامل الوقت تقريبا، وإذا اتّصلت قريبا على بريمروز 2940، بإمكاننا ترتيب زيارتك بسهولة.

أراكَ قريبا إذًا !

مع مودّتي

سيغموند فرويد

إلى الأستاذ: سيغموند فرويد

لندن، 23 أو 39 شارع إلزوورثي[١٢٨]

جوان 1938

أستاذي العزيز والموقّر،

لقـد هربـتُ لقضـاء عطلـة نهائيـة أسـبوع مطوّلـة فـي الرّيـف. سـأتّصل بـك حالمـا أعـود.

صديقك المخلص / ستيفان زفايغ

(١٢٨) بمـا أنّ زفايـغ لا يعـرف العنـوان الجديـد لفرويـد بدقّـة مـن المرجّـح أن تكـون هـذه البطاقـة قـد أرسـلت بعـد أيّـام قليلـة مـن وصـول فرويـد إلـى لنـدن.

49 شارع هالّام

إلى الأستاذ: سيغموند فرويد

لندن، لانغهام 3693

10 جويلية 1938 (تقريبا)

أستاذي العزيز،

إنّ سالفادور دالي، الرسّام الكبير وأحد المعجبين المتعصّبين لأعمالك، يرغب في رؤيتك ولا يعرف أحدًا يوصله إليكَ غيري. احبُّ أعماله كثيرا وسأكون سعيدًا إذا أمضيتَ سُوَيْعة معه.

مع محبّتي وإخلاصي

ستيفان زفايغ

49 شارع هالّام

إلى الأستاذ: سيغموند فرويد

لندن، لانغهام 3693

15 جويلية 1938

أستاذي العزيز والموقّر،

إلــى جانــب رغبتــي الكبيــرة جــدًّا فــي رؤيتــك مجــدّدًا، ثمّــة شــخص آخـر يتمنّـى زيارتـك معـي وسـيكون هنـا فـي الأسـبوع المقبـل. إنّـه واحـدٌ مـن معجبيـك الكبـار، وبـكلّ مـا يقترفـه مـن جنـون، ربّمـا يكـون عبقـريّ الفـنّ التشـكيليّ الحديـث الوحيـد. إنّـه سـالفادور دالـي الّـذي لا بـدّ مـن أنّـك تعـرف اسـمه بـكلّ تأكيـد. وبمـا أنّـهُ للأسـف لـن يبقـى إلّا الإثنيـن والثلاثـاء، سأسـمح لنفسـي بالاتّصـال بـك صبـاح الإثنيـن لمعرفـة مـا إذا كان بإمكاننـا زيارتـك فـي يـوم منهمـا.

سـأتحدّث مـع ابنـك مـرّة أخـرى بخصـوص موضـوع أمريـكا(١٢٩). وأنـا علـى ذمّتـك دائمًـا إذا لـم تجـد أحـدًا أفضـل منّـي.

مع مودّتي وإخلاصي

ستيفان زفايغ

---

(١٢٩) لم نتمكّن من تبيّن هذا الموضوع.

49 شارع هالّام

إلى الأستاذ: سيغموند فرويد

لندن، لانغهام 3693

18 جويلية 1938

أستاذي العزيز الموقّر،

كلمة صغيرة أخرى. أنتَ تعرف أنّني دائمًا ما كنتُ أتجنّب اصطحاب أيّ شخص معي عند زيارتك، لكن بالنسبة إلى الغد، ثمّة استثناء حقيقيّ هامّ يجب أخذه بعين الاعتبار. إنّ سالفادور دالي في نظري (بغضّ النّظر عن مدى غرابة بعض أعماله) هو عبقريّ الفنّ التشكيليّ الوحيد في عصرنا وهو الوحيد الّذي سيخلّده التاريخ. إنّهُ مدافع شرسٌ أن أفكاره، كما أنّهُ الأكثر وفاءً وامتنانا من بين الفنّانين الّذين استفادوا من أعمالك. ولسنوات طويلة، كان هذا العبقريّ يتمنّى لقاءك (خاصّة وقد قال لي إنّهُ لم يكن يومًا مدينًا بفنّه لأحد بقدر ما هو مدين لك). لذلك سوف نأتي غدًا، وستكون زوجته برفقته، وهو يريد أن يستغلّ هذه الفرصة، بينما نتحدّث، ليأخذ لك رسمًا أوليًّا سريعًا (١٣٠)

---

(١٣٠) في أثناء هذه الزيارة، قام سالفادور دالي برسمتيْن سريعتيْن لفرويد. يقول زفايغ في سيرته الذاتيّة: ذات يوم، في واحدة من الزّيارات الأخيرة إليه، اصطحبت معي سالفادور دالي الذي أعتبره الرّسام الأكثر موهبة في الجيل الجديد، وكان يقدّس فرويد على نحو عجيب. وبينما أتحدّث مع فرويد يومها قام ببعض الرّسوم التحضيريّة السريعة له. ولم أتحلّ بما يكفي من الشجاعة بعدها لأطلع فرويد عليها، لأنّ دالي، بنظرته العميقة، رسمهُ ميّتًا. (عالم الأمس، ص488).

لأنّه لا يرسم لوحاته الحقيقيّة إلّا عن طريق التذكّر وإعادة الخلق. ولأثبت لك هذا، سنصطحب معنا عمله الأخير لتطّلع عليه، وهو لوحة لإدوارد جايمس؛ وإنّني أعتقد أنّهُ لا أحد، منذ العظماء القُدامى، تمكّن من الوصول إلى هذه الألوان، ومهما كانت درجة رمزيّتها، ستجدُ في تفاصيلها كمالا يجعل من كلّ لوحات هذا العصر شاحبة. اسمُ هذه اللّوحة هو نارسيس، وربّما ستجدُ فيها انعكاسا لأعمالك.

أقول هذا لأعتذر على قدومنا مثل قافلة صغيرة. إنّني أؤمن أنّ رجلا مثلك يجب أن يلتقي بالفنّان الّذي أثّر فيه أكثر من أيّ شخص آخر، خاصّة عندما يكون فنّانا يستحقّ الاحترام والتقدير. سوف يأتي من باريس (إنّه كاتالونيّ) ولن يبقى إلا أيّام قليلة لن يكون فيها ضيفًا ثقيلا أبدًا. ليس بوسعي إلّا أن أفرح لأنّك ستتعرّف أخيرا على أكبر مناصر لنا ربّما. ولا يذهبنّ في ظنّك أنّ هذا الكلام من قبيل المجاملة أو الإطراء المجانيّ. ربّما ستفاجئك اللّوحة في الوهلة الأولى، ولكن لا أتصوّر أنّك لن تستكنهَ فيها قيمة هذا الفنّان. كان سالفادور دالي بطبيعة الحال يودّ إطلاعك على لوحاته هنا في أحد معارضه، لكن بما أنّنا نعرف أنّك لا تخرج على الإطلاق أو لن تفعل ذلك إلّا على مضض، سنصطحب معنا هذا العمل الأخير لتقيّمه، وأعتقد أنّه أفضل ما لديه.

من القلب، مع تقديري الكبير

ستيفان زفايغ

لانغهام 3693
49، شارع هالاّم، لندن

19 جويلية 1938

أستاذي العزيز الموقّر،

آمل أن لا نضايقك أكثر. لكنّ سالفادور دالي قد ذهب مرّة من باريس إلى فيينّا لرؤيتك سُدًى.

إلى جانب ذلك، يحتاج الشّاب الّذي يرافقه، إدورار جايمس إلى علاج نفسيّ، وهو موافق على شروطك ويرغب في اتّباع العلاج الّذي اقترحته عليه (ويبدو أنّ زوجته السّابقة، تيلي لوش[131]، لم تتمكّن من معالجته). كلّ ما في الأمر أنّك أخفته قليلا عندما قلت له إنّ ذلك قد يؤثّر على ملكاته الأدبيّة. لكن أعتقد أنّهُ سيأتي إليك يومًا بنفسه طالبا للعلاج !

مع حبّي وإخلاصي

صديقك

ستيفان زفايغ

---

(١٣١) تيلي لوش: راقصة ورسّامة نمساويّة، أمريكيّة. كانت الرّاقصة الأولى في باليه فيينّا من 1924 إلى 1928.

39 شارع إلزوورثي، لندن

20 جويلية 1938

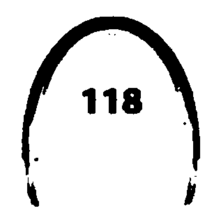
صديقي العزيز،

حقًّا، يجب أن أشكرك على اصطحاب زوّار الأمس إلى بيتي، لأنّني، قبل زيارتكم، كنتُ أميَلَ إلى اعتبار السرياليّين، الّذين يبدو أنّهم اختاروني زعيمهم المُفدّى، مجرّد مجانين (أو قُل مدمني كحول بنسبة 95٪ منهم). غير أنّ هذا الشّاب الأسبانيّ بعينيْه العجيبتيْن الواثقتيْن وبراعته الفنيّة الّتي لا يمكن تجاهلها، جعلني أعيد التفكير في الموضوع. سيكون مهمًّا جدًّا أن ندرس من وجهة نظر تحليليّة مسار إبداع لوحة مشابهة. صحيحٌ أنّهُ بإمكان أحدهم أن ينقد هذا الأمر ويقول إنّ طبيعة الفنّ متناقضة مع أيّ توسّع تحليليّ عندما لا تكون العلاقة الكمّية بين العمل الإبداعيّ والعمل النقديّ خاضعة إلى حدود معيّنة، لكن ثمّة أبعاد نفسيّة إشكاليّة في هذه الأعمال حقًّا.

أمّا بالنسبة إلى الزّائر الآخر(١٣٢)، فإنّني أرغب دائمًا في خلق بعض الصعوبات أمام أي طالب للعلاج لمعرفة مدى استعداده والوصول إلى أبعد حدّ ممكن من روح التضحية لديه.

---

(١٣٢) إدوارد جايمس (انظر الرّسالة السابقة).



إنّ العـلاج أشـبه بامـرأة تريـد الظّفـر بهـا، ولكنّهـا تعـرف أنّـك لـن تحترمهـا كثيـرًا إذا لـم تتمنّـع عـن وصالـك فـي البدايـة. وإذا طـال بالسيّد جايمـس تـردّده، بإمكانـه أن يعايـد شـخصًا آخـر مثـل جونـز[133] أو ابنتـي[134]
.

قالـوا لـي إنّـكَ نسـيت قفّازاتـك وأنـتَ تهـمٌّ بالمغـادرة. هـذا وعـدٌ بأنّـكَ سـترجع مـرّة أخـرى.

مودّتي

فرويد

ملاحظـة: إنّ كتابـة الأسـتاذ فـي العنـوان بـدل اختصارهـا بـ الأ. دليـل علـى أنّـك بخيـر.

---

(١٣٣) إرنست جونز (انظر رسالة 29 نوفمبر 1931).

(١٣٤) آنا فرويد.

لانغهام 3693

49، شارع هالّام، لندن

أوت 1938

أستاذي العزيز الموقّر،

لـم أزرك هـذه الأيّـام لأنّ أحـد الأصدقـاء المقرّبيـن(١٣٥) خضـع لعمليّة جراحيّـة خطـرة وكان علـيّ زيارتـه بشـكل منتظـم فـي المستشـفى. لكـن سـأزورك غـدًا. إنّنـي أتطلّـعُ إلـى رؤيتـك بنفـاد صبـر.

ثمّـة مصـوّر محلّـي اسـمهُ مارسـيل شـتيرنبرغر(١٣٦) ، كان قـد التقـط بورتريهـات رائعـة لشَـاو وويلـز وغيرهمـا، ويرغـب فـي أن يأخـذ لـك بعـض الصّـور الفوتوغرافيّـة وطلـب منّـي أن أسـتأذنك فـي عشـر دقائـق مـن وقتـك. وبمـا أنّ هـذا سيكون بمثابـة المسـاعدة الكبيـرة لـه علـى المستوى النفسـيّ (سيسـافر قريبـا إلـى أمريـكا)، فإنّنـي أعـوّل علـى رحابـة صـدرك؛ وبغـضّ النظـر عـن واجبنـا الأخلاقـيّ فـي مسـاعدة بعضنـا، أؤكّـد لـك أنّـه مصـوّر بـارع حقًّـا.

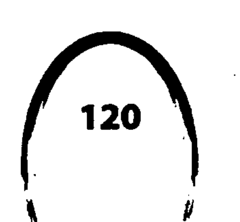
صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

---

(١٣٥)لم نستطع تحديد من يكون هذا الصّديق.

(١٣٦)يشير جونز إلى هذا المصوّر النمساويّ، لكنّهُ يكتب اسمه على هذا النحو: شتاينبرغر. يقول في مذكّراته: في فترة مّا، تحسّن وضع فرويد الصحيّ إلى درجة أنّهُ سمح لإيفيلّي بصنع تمثال له، وبطلب صريح من ستيفان زفايغ، صوّره شتاينبرغر



لانغهام 3693

49، شارع هالّام، لندن

24 أوت 1938

أستاذي العزيز الموقّر،

أرجو أن لا تعتبر صمتي هذا كسلًا أو إهمالا. لقد أجرى صديق عزيز عمليّة جراحيّة خطرة وعليّ أن أزوره في كلّ وقت ممكن. ثمّ إنّ أمّي البالغة من العمر خمسة وثمانين عامًا توفّيت هذا الصّباح في فيينًا. أيّ عصرٍ نعيشه يا صديقي؟ عصرٌ يتحوّل فيه الموت من سبب للحزن إلى سلوان يجعلني أفكّر في أنّها سترتاح بموتها من جحيم فيينّا بعد أن حُرمَتْ من اللّحاق بنا هنا.

سأتّصل بك غدًا راجيًا أن أراك قريبًا. لن يتأخّر الشّاب إدوارد جايمس في حسم أمره أكثر على ما أعتقد. لقد تحدّثت معه الأسبوع الماضي.

مع حبّي وإخلاصي

صديقك

ستيفان زفايغ

لانغهام 3693
49، شارع هالاّم، لندن

16 سبتمبر 1938

أستاذي العزيز الموقّر،

لقد حاولت عبثًا أن أعرف أين أنتَ الآن وكيف حالك. أرجو أن تستعيد عافيتك قريبا حتّى نتمكّن من زيارتك. أنا على ذمّتك دومًا، وليس عليك إلّا أن تشير إليّ بالقدوم.

بكلّ إخلاص

صديقك

ستيفان زفايغ



لانغهام 3693
49، شارع هالّام، لندن
آخر سبتمبر 1938

أستاذي العزيز الموقّر،

أرجو أن لا تعتبر عدم اتّصالي بك في الأسبوع الأخير لامبالاةً. عليّ الاهتمام ببعض المراجعات(١٣٧) في هذه الفترة، وبمجرّد أن أتنفّس قليلا، سيكون أوّل شيء أقوم به، زيارتك. إنّني أتطلّع إلى رؤيتك بنفاد صبر، وآمل أنّك تشعر بتحسّن.

مع حبّي وإخلاصي

ستيفان زفايغ

---

(١٣٧) كان زفايغ في هذه الفترة يراجع مسوّدات رواية الشفقة الخطرة. (انظر رسالة 15 نوفمبر 1937).

الأ. د. سيغموند فرويد

20، حدائق مارسفيلد، لندن(١٣٨)

لندن، 16 نوفمبر 1938

أستاذي العزيز الموقّر،

أعرف أنّني لم أزرك منذ وقت طويل، ولكنّني لم أفعل ذلك حتّى لا أصطحب معي اضطرابي النفسيّ الكبير النّاجم عمّا يفعله الألمان. أريد دائمًا أن أراك وأنا في راحة من عقلي. وسأسمح لنفسي بزيارتك غدًا.

مع حبّي وإخلاصي

ستيفان وفايغ

---

(١٣٧) انتقلت عائلة فرويد منذ 16 سبتمبر 1938 إلى هذا العنوان.

سيغموند فرويد

20، حدائق مارسفيلد، لندن

نيويورك، 7 جانفي 1939

أستاذي العزيز،

أرجو أن تكون بخير في لندن. أنا من مكان إلى مكان[١٣٩] مثل علبة تتقاذفها الأرجل، لكنّني بخير وأتطلّع إلى رؤيتك في لندن.

مع حبّي وإخلاصي

ستيفان زفايغ

---

(١٣٩) بداية من 17 ديسمبر 1938، يبدأ زفايغ جولة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ ولن يعود إلى لندن إلّا في منتصف مارس 1939.

لانغهام 3693
49، شارع هالّام، لندن
16 مارس 1939

أستاذي العزيز الموقّر،

لقـد عـدتُ للتـوّ إلـى لنـدن، ولكـن علـيّ أوّلًا أن أتخلّـص مـن جبـل مـن الرّسـائل. إنّنـي أتطلّـع بنفـاد صبـر إلـى رؤيتـك وسـأزورك فـي الأيـام القليلـة القادمـة.

مع أحرّ التحايا وخالص الحبّ

ستيفان زفايغ

لانغهام 3693

49، شارع هالّام، لندن

31 ماي 1939

أستاذي العزيز الموقّر،

منذ عدتُ من باث(١٤٠) وأنا أريد الاتّصال بك كلّ يوم. وفي كلّ يوم يأخذ زوّاري من فيينّا وألمانيا وقتي كلّه. لكن أخيرا اتّضحت الأمور بعض الشيء، وسأزورك غدًا أو بعد غد. إنّني أتطلّع إلى رؤيتك بفارغ الصّبر.

مودّتي

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ

(١٤٠) كان زفايغ أحيانًا يقضي رفقة زوجته لوت بعض الأسابيع في هذه المحطّة الاستشفائيّة في جنوب انجلترا ليبتعد عن التوتّرات الدوليّة.

إلى الأ. سيغموند فرويد
20، حدائق مارسفيلد، لندن
نزل باث الاستشفائيّ
7 جوان 1939

أستاذي العزيز الموقّر،

لم أكُن عندَ كلمتي(١٤١) لأنّني لم أعد قادرًا على تحمّل لندن أين تعيق زيارات النّاس الكثيرة عملي. لذلك عدتُ إلى مخبئي في باث. لكنّني سأتّصل بك في أقرب وقت أستاذي العزيز.

ستيفان زفايغ

(١٤١) وعد زفايغ فرويد بزيارته حال رجوعه من باث إلى لندن ولم يفعل ذلك.

إلى الأ. سيغموند فرويد

20، حدائق مارسفيلد، لندن

باث،

24 جويلية 1939

أستاذي العزيز الموقّر،

أريد أن أقول لك فقط إنّني على الرّغم من وجودي جسديًّا في باث، فإنّ عقلي وروحي معك، وآملٌ من كلّ قلبي أن تشعر بالتحسّن وتتمكّن في أقرب وقت من التفكير في عمل جديد مثمر.

مع حبّي وإخلاصي

ستيفان زفايغ

(١٤٢) وعد زفايغ فرويد بزيارته حال رجوعه من باث إلى لندن ولم يفعل ذلك.

لانسداون لودج ، باث
من ستيفان زفايغ إلى آنا فرويد
لانسداون لودج / شارع لانسداون

باث، 4 أوت 1939

الآنسة العزيزة المحترمة،

لقد قرأتُ هنا في إحدى الصّحف أخبارا تقول إنّ السيّد والدك يمرّ بأيّام صعبة(١٤٣) أرجو أن يخرج من هذه المحنة سالمًا. كنتُ سأتّصل بك هاتفيًّا، ولكنّني خفت من أن أزعجك في هذه الأيّام الّتي لا بدّ وأنّ انشغالاتك فيها كثيرة. بمجرّد أن تصبح الزيارة ممكنة، أرجو أن تعلميني بذلك وسأكون عندكم في الإبّان.

مع أطيب الأمنيات للصديق العزيز وعائلته

ستيفان زفايغ

---

(١٤٣) أعلنت الصحف عن تدهور حالة فرويد الصحيّة.

باث، لانسداون لودج

14 سبتمبر 1939

صديقي العزيز جدًا (١٤٤)،

متى سأراك؟ في الوقت الحالي، لا يبدو ذلك فكرة جيّدة. كان قرار تجنيسي سيصدر، ولكن بما أنّني كنت أنوفًا ولم ألحّ على الأمر، بقي القرار دون إمضاء (١٤٥). وعليه، أنا الآن أحد رعايا دولة عدوّة ولا يجب أن أبتعد أكثر من 5 أميال عن سوق باث اليوميّة. هكَذَا نَسْلُكُ نحن أيضًا في جِدَّة الحياة (١٤٦)! وهكذا تنتفي كلّ قيمة أدبيّة أمام قرار إداريّ بائس. أنا أتعفّن هنا. أشعر أنّني أبله بلا فائدة، لا أستطيع حتّى العمل، وبعيد عن أصدقائي كلّهم.

إنّني أضحك من كلّ هذا الهراء لأنّني في النهاية أكثر جدوى من سبعة موظّفين في وزارة البروباغندا ولكنّه يمنعني من رؤيتك، وهذا يحزنني.

---

(١٤٤) لأوّل مرّة يجرؤ زفايغ على استعمال عبارة أكثر حميميّة من أستاذي العزيز. ومن سخرية الأقدار، أنّها ستكون آخر مرّة يفعل فيها ذلك أيضا. وفي الثالث والعشرين من سبتمبر 1939 سيتوفّى فرويد بعد تسعة أيّام من هذه الرّسالة.

(١٤٥) قدّم زفايغ طلب التجنيس منذ وصوله إلى لندن، ولكنه لن يحصل على الجنسية البريطانية إلا في مارس 1940.

(١٤٦) وردت هذه الجملة باللاتينية (Sic transit gloria mundi)، وهي جملة مسيحيّة تُقال للبابا الجديد أثناء تعميده وتسليمه مقاليد رئاسة الكنيسة

أتمنى أنك تتألم من عصرنا فقط، مثلنا جميعا، لا من أيّ ألم جسديّ. تماسكْ يا صديقي ! عبثٌ أن يموت المرء دون أن يشهد انحدار المجرمين إلى الجحيم.

تحيّاتي إليكم جميعا،مع تقديري العتيق

صديقك المخلص

ستيفان زفايغ


محمد خطاب

الرّسَائل
(١٩٠٨ – ١٩٣٩)



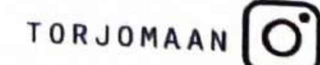
إنّ الرّسائل المجموعة في هذا الكتاب، في وضع البحث الحاليّ، كاملة، وتتّبع الطبعة الأخيرة لهانس أولريش ليندكن. هذا لا يعني أنّنا نقدّم هنا كلّ الرّسائل الّتي تبادلها ستيفان زفايغ مع سيغموند فرويد، فعدد لا بأس به منها قد ضاع في سنوات التهجير والحرب. سيجد القارئ هنا إذن، ولأوّل مرّة في اللّغة العربيّة، كلّ رسائل فرويد وزفايغ الّتي تمكّن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية من الاحتفاظ بها.

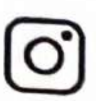


مؤسسة ترجمان للترجمة والنشر



TORJOMAN





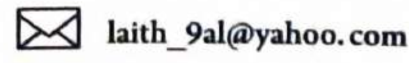
TORJOMAAN

www.torjomanc.com



منشورات الهجان

العراق- البصرة- حي الجزائر
(شارع الفراهيدي)
٠٠٩٦٤٧٧٠٥٦٥٩٧٢٤



laith_9al@yahoo.com